KELAM İLMİNDE İNSANIN MAHİYETİ, VAZİFESİ, VE AKİBETİ
(RİSALE-İ NUR ÖRNEĞİ)

ماهية الإنسان ووظيفته وعاقبته في علم الكلام
(رسائل النور أنموذجا)

Yassine İBRAHİM MAHAMAT

YÜKSEK LİSANS TEZİ
Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı

Uşak
Uşak Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü
Ağustos,2019

KELAM İLMİNDE İNSANIN MAHİYETİ, VAZİFESİ, VE AKİBETİ
(RİSALE-İ NUR ÖRNEĞİ)

ماهية الإنسان ووظيفته وعاقبته في علم الكلام
(رسائل النور أنموذجا)

Yassine İBRAHİM MAHAMAT

YÜKSEK LİSANS TEZİ
Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı

Uşak
Uşak Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü
Ağustos,2019

YÜKSEK LİSANS TEZ ÖZETİ

KELAM İLMİNDE İNSANIN MAHİYETİ, VAZİFESİ, VE AKİBETİ (RİSALE-İ NUR ÖRNEĞİ)

Yassine İBRAHİM MAHAMAT
Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı
Uşak Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Ağustos, 2019
Danışman: Prof. Dr. Sayın DALKIRAN

Bu çalışma, "insan" konusunu kelam ilmi çerçevesinde ele almaktadır. Kelam ilmi, dinin temel konularını incelemekte olup ilahiyat, nübüvvet ve gaybiyyâtla ilgili büyük sorulara cevaplar getirmektedir.

Çalışmamız, bu asırda kelam alanındaki en önemli eserlerden biri olan Bediüzzaman Said Nursi'nin Risale-i Nur'u çerçevesinde insanın mahiyeti, vazifesi ve akıbeti konularını tam bir şekilde açıklama girişimidir.

Araştırmacı, Risale-i Nur üzerinde yaptığı çalışma sonunda, Bediüzzaman'ın önemli ilmî konuların yanında, insanın varlık sorunlarına kapsamlı cevaplar getirerek "insaniyat" diye isimlendirilebilecek bir konu katkısında bulunmakla kelam ilminde bir yenilik gerçekleştirdiği sonucuna varmıştır.

Anahtar Sözcükler: *İnsan. İnsanın mahiyeti. İnsanın vazifesi. İnsanın akibeti. Kelam ilmi. Risale-i Nur. Bediüzzaman Said Nursi.*

ABSTRACT

The nature, duty, and the destiny of man in the science of islamic theology

(Risale-i Nur as a model)

Yassine Ibrahim Mahamat

Department of Basic İslamic Sciences

Social sciences institute

Advisor: Prof. Dr. Sayın DALKIRAN

This research deals with the issue of man from the perspective of the science of islamic theology (kalam) which discusses the fundamentals of religion and answers the great questions concerning divinity , prophecies, and the unseens.

This study is an attempt to find out the full picture about the nature of man, his duty, and his desteny after this worldly life.

The researcher analyzes one of the most important secholarly works in this age named Risale-i Nur (the letters of the light) wish has been written by the great scholar Bediuzzaman Said Nursi. He Has revived this science of kalam by including a section to it in addition to its important topics which can be called (islamic humanities). Bediuzzaman Said Nursi has provided an important treatment to the existential human issues with systematic approach and a holistic content.

Key Words: *Man. Nature of man. Duty of man. Desteny of man. islamic theology (kalam). Risale-i Nur. Bediuzzaman Said Nursi*

JURİ VE ENSTİTÜ ONAYI

Temel İslâm Bilimleri Anabilim Dalı, Kelam Bilim Dalı, Uşak Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü yüksek lisans öğrencisi, 134015010 numaralı; Yassine İBRAHİM MAHAMAT' in

" ماهية الإنسان ووظيفته وعاقبته في علم الكلام

(رسائل النور أنموذجا)

KELAM İLMİNDE İNSANIN MAHİYETİ, VAZİFESİ, VE AKİBETİ (RİSALE-İ NUR ÖRNEĞİ)" başlıklı tezi, …… /…../ 2019 tarihinde, aşağıdaki jüri tarafından Lisansüstü Eğitim Öğretim ve Sınav Yönetmeliğinin ilgili maddeleri uyarınca, Yüksek Lisans tezi olarak değerlendirilerek kabul edilmiştir.

JÜRİ ÜYELERİ:

Üye (Tez Danışmanı): Prof. Dr. Sayın DALKIRAN ……..

Üye : ……..

Üye : ……..

…/…/2019

Enstitü Müdürü

PROF. DR. MEHMET KARAYAMAN

ÖNSÖZ

أحمد الله تعالى حمدا بعدد ذرات الكائنات أن يسر لي هذا العمل الذي كنت أتوخى فيه التعرف على نفسي العاجزة، كما أشكر والديّ الكريمين على دعواتهما المباركة، وكذلك الشكر موصول إلى كل من أفادني من أساتذتي الأجلاء ولا سيما الأستاذ الدكتور صَايِن دَالكِران لتفضله بالإشراف على هذه الدراسة، ولا أنسى أيضا أن أعبر عن امتناني لزوجتي الفاضلة وابنتي البتول لطول صبرهما، جزا الله الجميع خير الجزاء وتولى الله عني ثوابهم.. أسأل الله تعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم..

ياسين إبراهيم محمد

ÖZGEÇMİŞ

Kişisel Bilgiler

Adı Soyadı	:	ياسين إبراهيم محمد
		Yassine İBRAHİM MAHAMAT
Doğum Yeri ve Tarihi	:	Medine,01.01. 1985
Lisans Öğretimi	:	Uluslararası İslam Üniversitesi/Malezya
Yüksek Lisans Öğretimi	:	Uşak Sosyal Bilimler Enstitüsü
Bildiği Yabancı Diller	:	Arapça, Türkçe, İngilizce
Bilimsel Faaliyetleri	:	
İş Deneyimi	:	7 Yıl
Çalıştığı Kurumlar:	:	Uşak Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi		
Unvan	:	Öğretim Görevlisi.

İÇİNDEKİLER

مقدمة.....1

المدخل

نظرة عامة على مصطلحات البحث

1. مصطلحات البحث 5

1.1: الإنسان.....5

1.1.1 الإنسان بمعنى النسيان.....6

2.1.1 الإنسان بمعنى الأُنس.....7

3.1.1 الإنسان بمعنى الإبصار.....7

2.1: علم الكلام.....9

1.2.1 تعريف علم الكلام.....9

2.2.1 تسمية علم الكلام.....9

3.2.1. أهمية علم الكلام.....10

3.1: رسائل النور.....11

1.3.1 بديع الزمان سعيد النورسي مؤلف رسائل النور.....11

2.3.1 كليات رسائل النور.....14

3.3.1 رسائل النور وعلم الكلام.....15

الفصل الأول

ماهية الإنسان

1. تمهيد عن ماهية الإنسان 19

1.1: الإنسان مرآة عاكسة للأسماء الإلهية.....22

1.1.1: من حيث الضدية.....24

2.1.1. من حيث النماذج.....27

3.1.1. من حيث النقوش..... 30

2.1. الإنسان ثمرة لشجرة العالم.....35

1.2.1: المثال المصغر.....36

2.2.1: العلة الغائية.....40

3.2.1: النواة الأصلية.....43

3.1. الإنسان مخلوق في أحسن تقويم.....48

1.3.1: الجسم.....50

2.3.1: الحياة.....54

3.3.1: الشعور.....57

الفصل الثاني

وظيفة الإنسان

2. تمهيد عن وظيفة الإنسان.....61

1.2 الإنسان مكلف بعبودية كلية.....63

2.2 الإنسان خليفة في الأرض.....71

3.2 الإنسان حامل للأمانة الكبرى.....78

الفصل الثالث

عاقبة الإنسان

3. تمهيد عن عاقبة الإنسان.....86

1.3 الإنسان مؤهل للسعادة الأبدية.....88

2.3. الإنسان صاحب استعداد جامع.....97

3.3. الإنسان ذو جزء اختياري.....103

الخاتمة.....108

المصادر والمراجع.....109

المقدمة:

إن الحكمة البشرية منذ فجر التاريخ حاولت الإجابة عن الأسئلة الجوهرية المتعلقة بالإنسان، عن ماهيته ووظيفته وعاقبته، ولقد تفاوتت إجابات الحكماء تبعا لاختلاف المصادر المعرفية، فالذين اقتصروا على عقولهم المحدودة ولم يسترشدوا بوحي السماء لم يعثروا على أية إجابة يقينية تخص هذه القضية، بل ازدادوا تخبطا كلما توغلوا في البحث، وقد اعترف أحد الباحثين الغربيين المعاصرين بذلك حيث قال: "وفي الحق، لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه، ولكننا بالرغم من أننا نملك كنزا من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا، إننا لانفهم الإنسان ككل"[1]

وقد كان السبب الحقيقي للاخفاق في فهم الإنسان ككل، هو النظر السطحي الذي يتغافل عن الأبعاد الروحية له، وصلة حقيقته بتجليات أسماء خالقه وصفاته، حيث إن التحري عن الجواب الصحيح عن حقيقة الإنسان يجب أن يبتدأ أولا باللجوء إلى خالق الإنسان ﴿ألاَ يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وهُو اللَّطِيف الخَبِير﴾[2] وكما أشار الباحث الياباني من أن "السؤال الأبدي المتكرر دائما: من أين جاء الإنسان؟ وما هو مصدر وجوده بالذات هنا في العالم؟ هذه واحدة من المشكلات الرئيسية التي أقلقت العقل الإنساني دوما، والجواب الوحيد الصحيح لهذا السؤال في التصور القرآني ليس بعيدا عن المتناول"[3]

ومن هذا المنطلق فإن حكماء الإسلام حاولوا استكناه قضية الإنسان في ضوء القرآن، وكثيرا ما ترددت في كتبهم عبارة تفيد بأن معرفة الإنسان بخالقه منوطة بمعرفته بنفسه، كما ذكر الإمام أبو منصور الماتريدي: "وعندنا أن من عرف نفسه عرف ربه"[4] وعلى النحو نفسه يخاطب الإمام

---

[1] كاريل، ألكسيس، **الإنسان ذلك المجهول** (ترجمة: شفيق أسعد فريد) مصر: دار العلم، ص5.

[2] الملك: 14

[3] توشيهيكو إيزويستو، **الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم** (ترجمة: هلال محمد الجهاد) بيروت: المنظمة العربية ص 193.

[4] الماتريدي، محمد بن محمد أبو منصور، **التوحيد** (تحقيق: فتح الله خليف) الاسكندرية: دار الجامعات المصرية ص102.

الغزالي الإنسان بقوله: "فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة، حتى تدرك أي شيء أنت، ومن أين جئت إلى هذا المكان، ولأي شيء خلقت، وبأي شيء سعادتك"[5] هذه الدعوة إلى تعرُّف الإنسان على نفسه استوحاها علماء الإسلام من الآيات التي تدعو إلى التفكر في الأنفس والنظر في الذات، وبعبارة الإمام الراغب الأصفهاني "حث الله تعالى على التدبر في النفس والتفكر فيها، وجعل معرفتها مقرونة بمعرفته تعالى في قوله: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيات لِلمُوقِنين.وفي أنْفُسِكُم أَفَلا تُبْصِرون﴾[6] وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أنْفُسِهِم حتَّى يَتَبَيَّن لَهم أنَّه الحَقّ﴾[7] وقيل: كان في كتب الله المنزلة: اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك"[8]

ويعلم كل مطلع على أدبيات التراث الإسلامي، أن علماء المسلمين قد أفاضوا كثيرا في الحديث عن الإنسان، و في الغاية من خلقه، حيث فسر علماء الأصول والتفسير الآيات القرآنية حول الإنسان وشرح علماء الفقه والحديث الأخبار الواردة عنه.

وبجانب ذلك، فإنّنا نعثر في كتب التصوف على بيانات فيها احتفاء بقيمة الإنسان وتقدير له، فالإنسان عندهم وإن كان يبدو كائنا صغيرا فهو ينطوي على العالم أجمعه، ونذكر على سبيل المثال قول العارف ابن عطاء الله السكندري مخاطبا الإنسان: "أنت جوهرة تنطوي عليك أصداف مكوناته، وسعك الكون من حيث جسمانيتك، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك"[9].

وجدير بالذكر، أن أكثر العلوم الإسلامية عناية بهذا الموضوع هو علم الكلام، فقد تناول المتكلمون عبر العصور هذه القضية بالنظر والتمحيص، لكن يلاحظ أن معظم آرائهم قد تركزت في مبحث أفعال الإنسان وإرادته

---

[5] الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد، **كيمياء السعادة**، مصر: مؤسسة العلم ص 124

[6] الذاريات: 20-21

فصلت: [7] 53

[8] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، **الذريعة إلى مكارم الشريعة** (تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي)، القاهرة: دار السلام ص 73.

[9] السكندري، ابن عطاء الله، **الحكم العطائية** (شرح عبدالمجيد الشرنوبي). دمشق: دار ابن كثير، ص 164.

من حيث الجبر والاختيار، ولا نكاد نجد لهم بيانات مفصلة في المسائل الإنسانية الأخرى.

وقد تجلى للباحث، بعد تتبع عميق لكليات رسائل النور، أن بديع الزمان سعيد النورسي، وهو من أئمة المتكلمين المعاصرين، قد استدرك هذا النقص، فرسم من خلال مؤلفاته صورة جامعة لماهية الإنسان ووظيفته وعاقبته، كما أشار إلى ذلك عبد المجيد النجار بأن "النورسي كان ينزع إلى تأسيس رؤية إسلامية متكاملة لحقيقة الإنسان"[10] ولا ريب أنه الأجدر بالقيام بهذه المهمة لطول معايشته للقرآن الكريم، ودقة تأملاته للنفس الإنسانية، إضافة إلى سعة اطلاعه على العلوم الشرعية وغيرها من العلوم الكونية والاجتماعية، ومما لا شك فيه " أن الذي يتصفح مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي ويتعمق في تأملاته يلاحظ اهتمامه البالغ بدور الإنسان، ومنزلته العاليه"[11] حيث " خصص النورسي في سياق حديثه عن الكون مساحة شاسعة للبحث الإنسي، فقدم في هذا الباب مادة جديرة بالاعتبار، وهو في تناوله لهذا المحور تجاوز الاطروحات التقليدية"[12]

وكان على الباحث في هذ الموضوع استقراء الموضوع في جميع كليات رسائل النور بدقة بضع مرات، في مدة استغرقت خمس سنوات، كان يحاول أثناءها جمع قطع المرايا المبثوثة في ثنايا مؤلفات بديع الزمان، ليضعها في إطار متكامل يبين صورة الإنسان في أبعاده المختلفة.

وهذا البحث الذي بين أيديكم، يتفرع بعد المقدمة إلى مدخل وثلاثة فصول، ألقى الباحث في المدخل نظرة سريعة على مصطلحات البحث الأساسية وهي الإنسان، وعلم الكلام ورسائل النور، وقد بين في المبحث الأول من المدخل معنى الإنسان كما ورد في معاجم اللغة العربية، ثم عرّج في المبحث الثاني على التعريف بعلم الكلام من حيث تسميته وأهميته، وقدّم

---

[10] عبد المجيد النجار، **مقاربات في قراءة التراث**. تونس: دار المالكية، ص 212.

[11] تسفيتان ثيوفانوف، **مبادئ الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النورسي**، مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 4 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم. ص 58.

[12] بوكاري كندو، **المنهج الواقعي في دراسة قضايا الإيمان، رسائل بديع الزمان النورسي أنموذجا** ، مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 1 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم. ص 156.

في المبحث الثالث لمحة عامة حول رسائل النور ومؤلفها وما تضلعت به من دور مهم في تجديد علم الكلام. وقد آثر الباحث الإجمال في هذا المدخل موجها المستزيد إلى المراجع الأصلية.

ويشتمل الفصل الأول من هذه الدراسة وهو عن ماهية الإنسان على ثلاثة مباحث، وكل مبحث يتفرع بدوره إلى ثلاثة مطالب، أما الفصل الثاني فهو عن وظيفة الإنسان، وهو كذلك يحتوي على ثلاثة مباحث، ثم يأتي الفصل الثالث وهو عن عاقبة الإنسان، ويتضمن ثلاثة مباحث أيضا، وبعد ذلك ترد خاتمة البحث وتوصياته.

وحسن أن نذكِّر في نهاية هذه المقدمة أن أهمية هذا البحث تكمن في أنه يعرّف بقيمة الإنسان، ومكانته السامية بين الموجودات، وأنه أبدع مصنوعات الله، ولعل ذلك يكون إسهاماً في استنقاذه من النظرة المادية الوضعية التي تهوّن من شأنه.

المدخل

نظرة عامة على مصطلحات البحث

1. مصطلحات البحث

1.1: الإنسان

الإنسان هو المخلوق المعروف، الذي ميّزه الله بالحياة والعقل، ولن نتطرق في هذا المبحث إلى تعريفات المناطقة له، وإنما سنناقش في هذه الأسطر معنى كلمة إنسان في اللغة، ولدى مراجعة معاجم اللغة الأصلية وجدنا أن كلمة إنسان جاءت على ثلاثة معان مشهورة وهي النسيان والأُنس والإبصار، ويلاحظ أن الفراهيدي (ت: 170هـ) ذكر المعاني الثلاة كلها: النسيان والأنس والإبصار ، أما صاحب المقتضب أبي العباس المبرد (ت: 286هـ) فذكر أن إنسان من الأُنس، وعند مراجعة إسماعيل الجوهري (ت: 393هـ) نجد أنه ذكر المعاني الثلاثة المشهورة كلها، وعند النظر في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت:395هـ) يلاحظ أنه ذكر من معاني إنسان الأُنس والإبصار ولم يورد معنى النسيان، وفي مفردات الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) نجد أنه ذكر المعاني الثلاثة النسيان والأُنس والإبصار، أما الأنباري (ت: 577هـ) فقد ذكر وجهات نظر البصريين الذين يرون أن كلمة إنسان جاءت بمعنى الأنس وأورد حججهم، وتعرض لذكر آراء الكوفيين القائلين بأن كلمة إنسان تأتي بمعنى النسيان، ونلاحظ أن أكثر من فصّل القول وأفرد له مساحة واسعة مع ذكر الأقوال والشواهد هو ابن منظور (ت:711هـ) وقد بيّن أن كلمة إنسان تأتي بمعنى النسيان والأُنس، وفي تعريف الإنسان وهو لفظ مشترك قال المقري (ت: 770 هـ): "الإنسان من الناس اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والكثير"[13] وقد اخترنا تعريفه لكونه مختصرًا وجامعًا، وسوف نلقي الضوء فيما يلي على

---

[13] المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** (تحقيق: عبدالعظيم الشناوي)، القاهرة: دار المعارف، ص 2.

المعاني الثلاثة المشهورة لكلمة إنسان وأدلة القائلين بها، وهي على النحو التالي:

1.1.1 **الإنسان بمعنى النسيان**

وقد ذهب إلى هذا القول من يرى أن وزن كلمة إنسان إفعان، وهو رأي أغلب الكوفيين، وبهذا المعنى يكون الإنسان من النسيان، وهو نقيض الذكر، حيث يقول المقري: "وقال الكوفيون مشتق من النسيان فالهمزة زائدة ووزنه إفعان على النقص، والأصل إنسيان على إفعلان، ولهذا يرد إلى أصله في التصغير فيقال أنيسان"[14] وفي المعنى نفسه يقول الراغب الأصفهاني: "وأصله إنسيان، سمي بذلك لأنه عهد إليه فنسي"[15] و يؤكد ذلك قول ابن منظور:" والإنسان أصله إنسيان لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره: أُنيسان، فدلت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها"[16] وقد ورد في تاج العروس للزبيدي ما يدل على أن كلمة إنسان أطلقت عليه لاتصافه بكثرة النسيان فقال: "فإن الإنسان، أي من حيث هو محل النسيان، أي مظنة لوقوعه وصدور الغفلة منه، ولو تحرى ما عسى"[17]

ومن يأخذ برأي أن كلمة إنسان تأتي بمعنى النسيان يستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَد عَهِدْنا إلى آدمَ مِن قَبْلُ فنَسِي﴾[18] فالنسيان ملازم للإنسان منذ زمن أبينا آدم وإلى اليوم.

---

[14] **المصدر نفسه**، ص 26.

[15] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن** (تحقيق: صفوان داوودي)، دمشق: دار القلم، ص 94.

[16] ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين أبو الفضل، **لسان العرب**، ج15 بيروت: دار صادر، ج 6 ص10.

[17] الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق المرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس** (تحقيق مجموعة من المحققين)، ج40 الكويت: وزارة الإرشاد والإنباء، ج1ص 124.

[18] طه: 115

2.1.1 الإنسان بمعنى الأُنس

وهناك من يرى أن أصل كلمة إنسان من الأنس، وهو نقيض الوحشة، وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: "والإنسان قيل سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بانس بعضهم ببعض، ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع، من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض"[19] وكما يذكر ابن خلدون في معنى هذا القول "الإنسان مدني بالطبع أي: لا بدّ له من الاجتماع"[20]وقد أشار المبرد إلى هذا المعنى بقوله: "الإنسان فعلان من الأنس"[21].

3.1.1 الإنسان بمعنى الإبصار

وهذا رأي البصريين في المسألة، وحجتهم كما قال الأنباري: "أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن وزنه فِعلان لأن (إنسان) مأخوذ من الإنس، وسمي الإنس إنسا لظهورهم، كما سمي الجن جناً لاجتنانهم أي استتارهم، ويقال: (آنست الشيء) إذا أبصرته، قال الله تعالى: ﴿آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً ﴾[22] أي: أبصر"[23] وفي المعنى نفسه قال الخليل: "آنست شخصاً من مكان كذا، أي رأيت"[24]

---

[19] **مفردات ألفاظ القرآن**، ص 94.

[20]ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد ولي الدين، **مقدمة ابن خلدون** (تحقيق: عبدالله محمد الدرويش)، ج2 دمشق: دار يعرب ج 2 ص 137.

[21] المبرد، أبو العباس محمد، **المقتضب** (تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة)، ج4 القاهرة: وزارة الأوقاف ج1ص 13.

[22] القصص: 29

[23] الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، دمشق: دار الفكر، ص 811.

[24] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين مرتبا على حروف المعجم** (تحقيق: عبدالحميد هنداوي)، ج4 بيروت: دار الكتب العلمية، ج 1 ص 93.

والذي أراه بعد استعراض الآراء المختلفة أن معنى الإنسان مأخوذ من النسيان، لدلالة الاشتقاق وقوة أدلة القائلين بذلك، ولما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه من رأي يؤيد ذلك.[25]

[25] انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (تحقيق: بشار معروف وفارس الحرستاني) بيروت: دار الرسالة، ج 16، ص182

2.1: علم الكلام

هو أهم العلوم الإسلامية وأشرفها، لأنه يتناول بالبحث أركان الإيمان، وهي أساس الدين وجوهره، كما يقول الإمام الغزالي: "علم الكلام مقصوده إقامة البرهان على وجوب الرب تعالى، وصفاته وأفعاله، وصدق رسله"[26] وينقسم علم الكلام إلى ثلاث أبواب رئيسية: وهي الإلهيات، والنبوات، والغيبيات، سنلقي الضوء ههنا بإيجاز على تعريفه، وتسميته، وأهميته.

1.2.1 تعريف علم الكلام

يعرف التفتازاني علم الكلام بقوله: "علم الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية"[27]، ويعرفه الإيجي كذلك بكونه "علم يقتدر به إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[28] فكما يلاحظ من هذين التعريفين فإن موضوع علم الكلام هو العقائد الدينية وغايته إثباتها والدفاع عنها.

2.2.1 تسمية علم الكلام

سمِّي بهذا الاسم لأن أكثر مسألة جرى حولها النقاش في هذا العلم هي مسألة كلام الله، وهناك قول كذلك على أن سبب تسميته بالكلام هو لما يورثه من قدرة على التكلم، وغيرها من الأسباب التي ذكرها العلماء في كتبهم، ومن أسماء هذا العلم أيضاً: علم أصول الدين، وعلم العقائد، والفقه الأكبر.

---

[26] الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد، **الاقتصاد في الاعتقاد** (تحقيق: محمد أبوالعلا)، القاهرة: مكتبة الجندي ص13.

[27] التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله، **شرح المقاصد** (تحقيق عبدالرحمن عميرة وصالح موسى شرف)، ج2 بيروت: عالم الكتب. ج1ص 163.

[28] الإيجي، عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد، **المواقف في علم الكلام** (تحقيق: عبدالرحمن عميرة)، ج3 بيروت: دار الجيل. ج1ص 34.

3.2.1. **أهمية علم الكلام**

تكمن أهمية علم الكلام في كونه متعلقا بأشرف المعلومات، وهو معرفة الله تعالى وصفاته وأسمائه، ويبيّن التفتازاني أهمية علم الكلام بقوله: "موضوعه أعلى الموضوعات، ومعلومه أجل المعلومات، وغايته أشرف الغايات."[29]

[29] **شرح المقاصد**، ج1ص 162.

3.1: رسائل النور

1.3.1 بديع الزمان سعيد النورسي مؤلف رسائل النور

المولد والنشأة: ولد بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله ورضي عنه عام 1877م، في قرية نورس التابعة لولاية بتليس شرقي الأناضول، اسم والده ميرزا واسم والدته نوريه، وقد عرفا بالصلاح والورع بين أهل تلك المنطقة التي يعيش فيها الأكراد.[30]

التحصيل العلمي: بدأ بديع الزمان حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في عام 1885م وكان أكثر ما حفزه لطلب العلم هو ما رآه من مزايا أخيه الأكبر الملا عبدالله،[31] وتفوقه على أبناء القرية ببركة العلم، فارتحل بديع الزمان إلى قرية تاغ المجاورة لنورس لتحصيل العلم في مدرسة الملا محمد أمين أفندي، ثم توالت رحلاته لطلب العلم فذهب بعد مدّة إلى قرية برمس ثم إلى مراعي شيخان وبعدها إلى قرية نورشين ثم انتقل إلى خيزان، وبعد مدة ذهب إلى أرواس،[32] وهي كلها أماكن قريبة من قرية نورس التي ولد فيها.

وقد بدأ بديع الزمان تحصيله الحقيقي في قضاء بايزيد في أقصى شرقي الأناضول عام 1891م، فعند قدومه إليها قضى مع الشيخ محمد الجلالي ثلاثة أشهر، [33]درس خلالها الكثير من كتب الفقه والأصول وعلم الكلام، وفي سنة1892م انتقل إلى مدينة سيرت المشهورة بالعلم والعلماء،[34] وهناك حفظ كثيرا من المتون العلمية في العلوم الإسلامية واللغة العربية، فشهد له العلماء بغزارة علمه حيث تفوق على أقرانه في المناظرات العلمية التي أقيمت لهم، ثم غادر سيرت إلى ماردين وجزيرة حتى استقر به المقام في مدينة وان عام 1897م، فتسنى له الاطلاع على

---

[30] انظر: بديع الزمان، سعيد النورسي، **سيرة بديع الزمان** (ترجمة: مجموعة من المترجمين) إستانبول: دار الأنوار ص45.

[31] **المصدر نفسه**، ص74.
[32] **المصدر نفسه**، ص74.
[33] **المصدر نفسه**، ص48.
[34] **المصدر نفسه**، ص51.

العلوم الحديثة مثل الفيزياء والكيمياء والفلك والرياضيات،[35] حتى برع فيها جميعا لذا أطلق عليه معاصروه لقب بديع الزمان.

الجهاد المعنوي والمادي: في عام 1907م شدّ بديع الزمان الرحال إلى إستانبول للقاء السلطان عبد الحميد رحمه الله حتى يعرض عليه مشروع مدرسة الزهراء،[36] وهي جامعة كان بديع الزمان يطمح إلى إنشائها لتمتزج فيها العلوم الكونية بالعلوم الدينية في الوقت نفسه، وقد عبّر عن الهدف منها بمقولته: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية ."[37]

وقد سافر بديع الزمان عام 1911م إلى بلاد الشام والتقى بعلمائها وألقى في المسجد الأموي خطبة حضرها آلاف المصلين،[38] حيث بيّن فيها أمراض الأمة الإسلامية وسبل علاجها.

ولما اندلعت الحرب العالمية عام 1916م شارك بديع الزمان في جهاد المحتلين وفي جبهة القتال ألف تفسيره القيم الموسوم بإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز وهو على صهوة فرسه، وقد وقع أسيرا بيد الروس حيث قضى في الأسر سنتين،[39] تمكن بعدها من العودة إلى استانبول عام 1918م وعين عضوا في دار الحكمة الإسلامية التي كان ينتسب إليها كبار العلماء آنذاك.[40]

---

[35] **المصدر نفسه**، ص63.
[36] **المصدر نفسه**، ص68.
[37] بديع الزمان، سعيد النورسي، **آثار سعيد القديم** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري.ني كي، ص402.

[38] **سيرة بديع الزمان**، ص117.
[39] **المصدر نفسه**، ص139.
[40] **المصدر نفسه**، ص101.

ومن الجدير بالذكر أن الغزاة الإنجليز عندما دخلوا استانبول عام 1920م نشر بديع الزمان رسالة سماها (الخطوات الست) بث من خلالها روح المقاومة في الشعب مبينا دسائس العدو وكيدهم.[41]

وعندما وقع الانقلاب العلماني عام 1922م ذهب بديع الزمان إلى أنقرة ليرى عن كثب تلك الخطة المشؤومة التي حاكها أعداء الدين لتغيير هوية أهل الأناضول وإبعادهم عن دينهم وعقيدتهم، قرر بعدها الابتعاد عن المحافل السياسية والقيام بمهمة إنقاذ الإيمان،[42] في وقت كانت الأمة فيه بحاجة ماسة إلى رجل مجدد مثله، وبعبارة أبي الحسن الندوي فإن "بديع الزمان عاش تلك المرحلة الدقيقة التي تنتقل فيها تركيا من طور إلى طور، وكان مرهف الحس ذكيا فطنا، فتفرس الخطر المحدق ببلاده...فشمر عن ساق الجد لمحو الأمية، ونشر العلوم الدينية، فعكف على دراسة القرآن دراسة عميقة ككتاب خالد مليء بالحيوية والنشاط، يحل الألغاز صالح لكل زمان ومكان."[43]

خدمة الإيمان والقرآن: وقعت الواقعة وحلت الطامة الكبرى عام 1923م عندما أُعلن إلغاء الخلافة الإسلامية، ومنع تدريس الدين، واستبدلت القوانين الشرعية بأخرى وضعية تم استيرادها من أوروبا، وغيرت الحروف العربية لتحل محلها حروف أجنبية، ومنعت الكتب الدينية، وحظر الأذان باللغة العربية، علاوة على فرض الزي الأوروبي ونشر السفور والتهتك، في خضم هذه الاجراءات الهدامة تم نفي بديع الزمان إلى غربي الأناضول ليبقى مدة قصيرة في بوردور ليساق بعدها إلى قرية بارلا،[44] التابعة لولاية إسبارطه، وفي الفترة الممتدة بين عام 1926- 1960م تعرض بديع الزمان إلى ظلم عظيم هو وطلابه فقضى

---

[41] **المصدر نفسه**، ص173.

[42] **المصدر نفسه**، ص185.

[43] الندوي، أبو الحسن، **النورسي ودعوته**، (ورقة مقدمة في مؤتمر تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي)، إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 1995. ص8.

[44] **سيرة بديع الزمان**، ص196.

حياته بين سجن ومنفى ومحاكمة ومحاولات اغتيال بالتسميم، في بارلا[45] 1925-1936م - وأسكي شهر1935م،[46] وقسطموني 1936-1943م ه،[47] ودنزلي1943-1944م،[48] و أميرداغ 1944-1948م،[49] وفي مدينة آفيون 1948-1949م،[50] وإسبارطه 1950م،[51] ورغم كل تلك الظروف العصيبة عكف على تأليف كليات رسائل النور في هذه المرحلة التي كان يسميها مرحلة سعيد الجديد، فانتشرت على نطاق واسع وكان لها الفضل بتوفيق الله في حفظ إيمان أهل الأناضول وجميع الأمة الإسلامية.

الوفاة والخلود: في عام 1960م توفي المجدد العظيم بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله ورضي عنه، في ساعات السحر بمدينة خليل الرحمن أورفة، بعد أن عاش ثمانين ونيفا من السنين نذرها كلها لنصرة الدين وإحياء الأمة، ودفن في أورفة حتى جاءت السلطات الظالمة لتنبش قبره وتنقل جثمانه المبارك إلى مكان لا يعرفه الناس، جزاه الله عن الأمة خيرا وجمعنا به في دار البقاء مع حبيبنا عليه الصلاة والسلام.

2.3.1 كليات رسائل النور

رسائل النور هي مجموعة من المؤلفات القيمة التي استلهمها الإمام المجدد بديع الزمان سعيد النورسي من القرآن الكريم، تتكون من مائة وثلاثة وثلاثين رسالة، في حوالي ستة آلاف صفحة، جمعت في مجلدات منها: الكلمات، والمكتوبات، واللمعات، والشعاعات، والملاحق في فقه دعوة النور، وغيرها من الرسائل التي كتبت باللغة التركية، بالإضافة إلى كتابين ألفا باللغة العربية، وهما إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز،

---

[45] **المصدر نفسه**، ص193.
[46] **المصدر نفسه**، ص275.
[47] **المصدر نفسه**، ص363.
[48] **المصدر نفسه**، ص489.
[49] **المصدر نفسه**، ص664.
[50] **المصدر نفسه**، ص675.
[51] **المصدر نفسه**، ص773.

والمثنوي العربي النوري، ويحسن التأكيد هنا بأن رسائل النور مؤلفات فريدة من نوعها يصعب تحديدها ضمن أحد فروع المعرفة التقليدية التي يشير إليها مصنفو العلوم، وقد كان لها الدور في تجديد النظر في علوم الدين، و إحيائها لتعالج إشكاليات العصر الحديث، فكان من أثر رسائل النور بروز جيل جديد يحيا الإسلام، وقد تحدث مترجم رسائل النور إلى العربية عن أهم ما يميز الرسائل حيث طرح السؤال حول مؤلفها " هل جدد في علم الكلام، هل جدد في الأصول، هل جدد في الفقه، هل جدد في التفسير؟ أين التجديد؟ ثم وفقت إلى شيء هو تجديده في الإنسان، أي بتعبير آخر إن رسائل النور تستعيد صياغة القرآن للإنسان فتصوغ الإنسان صياغة جديدة."[52]

3.3.1 رسائل النور وعلم الكلام

إن أكثر ما يميز رسائل النور هو عرضها البديع لأركان الإيمان، ومسائل العقيدة الإسلامية، مدعمة بالأدلة والبراهين، بأسلوب يتناسب مع مدارك هذا العصر الذي طغت فيه الأفكار المادية المندسة في ثنايا العلوم الحديثة.

ولذلك أطلق محسن عبدالحميد وهو أحد العلماء المختصين في العقيدة على بديع الزمان اسم: "متكلم العصر الحديث"[53] لما تناولته رسائله من رؤى جديدة أسهمت في تجديد علم الكلام، من خلال ما قدمته من إجابات شافية للأسئلة المعضلة التي أرقت أبناء هذا الزمان، فبديع الزمان نفسه قد لاحظ في بواكير أيام تحصيله بأن " علم الكلام بطرازه القديم، لا يكفي وحده في هذا العصر للرد على الشكوك والشبهات المثارة حول الإسلام"[54] هذه الحاجة إلى تجديد علم الكلام شعر بها كثير

---

[52] الصالحي، إحسان قاسم، **رحلتي مع رسائل النور**، إستانبول: دار إماك. ص216.
[53] محسن عبد الحميد، **النورسي متكلم العصر الحديث**، القاهرة: دار سوزلر ص 1-5.
[54] **سيرة بديع الزمان** ، ص 63.

من المفكرين المعاصرين أيضا، فكما يذكر وحيد الدين خان أننا " إذا أردنا مواجهة الأسئلة التي تثار ضد الدين، كان لابد من تغيير لهجتنا ولغتنا.. حتى نستطيع أن نقف أمام العواصف، وعلينا أن لا ننسى أن طريقة علم الكلام وأسلوبه قد تغير بتغير الزمن، وعلينا أن نأتي بعلم جديد لمواجه تحدي العصر"[55] ولعمق إدراك بديع الزمان لهذه المسألة انكب منذ شبابه على دراسة العلوم الكونية كالرياضيات، والجيولوجيا، والفيزياء والكيمياء والفلك، بعد تبحره في العلوم الإسلامية الأساسية، ولهذا " أطلق عليه أهل العلم لقب (بديع الزمان) لما شاهدوه من عجيب أمره وغزير علمه، وهو ما يزال بعد في مقتبل العمر"[56].

وبعد سنوات طويلة من حياة حافلة بالجهاد والأحداث المهمة، جاءت مرحلة جديدة من حياته، ، يسميها مرحلة "سعيد الجديد"[57] ألف في غضونها كليات رسائل النور، وهي مرحلة إنقاذ الإيمان كما عرّفها،وبين سبيله لتحقيق هذه الغاية بما قاله عن رسائل النور من أنها: " كشفت طريقا مباشرا إلى الولاية الكبرى، في موضع علم التصوف والطريقة، ضمن علم الكلام وعلم العقيدة وأصول الدين، بحيث انتصرت على الضلالات الفلسفية."[58] فأحدث بديع الزمان من خلال مؤلفاته تجديدا عظيما في حقل علم الكلام ذلك أنه استطاع "بمنهجه هذا نقل علم من نظريات فكرية مجردة يفهمها الخاصة أي من إيمان عقلي مجرد إلى سلوك في الحياة ينفعل مع العقل، ويثير العاطفة."[59]

ومن الملامح المهمة التي يلاحظها القارئ لرسائل النور، أنها تتوصل إلى المعرفة الإلهية من كل شيء، وتثبت الحقائق الإيمانية بأمثلة من العالم المشهود، حيث تجعل المعايش لها يرى دلائل وحدانية الله وجمال أسمائه وصفاته تعالى في كل ما يقع عليه بصره، وقد بين

---

[55] وحيد الدين خان، **الإسلام يتحدى** (ترجمة: ظفر الإسلام خان) القاهرة: دار المختار الإسلامي، ص12.

[56] **سيرة بديع الزمان**، ص 63.

[57] الصالحي، إحسان قاسم، **سيرة ذاتية لبديع الزمان**، إستانبول: دار سوزلر ص 180.

[58] بديع الزمان، سعيد النورسي، **الملاحق** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار رنك ص 260.

[59] محسن عبدالحميد، **تجديد الفكر الإسلامي**، القاهرة: دار الصحوة ص88.

بديع الزمان سر ذلك بأن "رسائل النور ليس مسلكها مسلك العلماء والحكماء، بل هو مسلك مقتبس من الإعجاز المعنوي للقرآن، يخرج زلال معرفة الله من كل شيء، فيستفيد السالك في رسائل النور في لحظة، ما لايستفيده سالكو سائر المسالك في سنة."[60] ولهذا يلمس الناظر أثر ذلك الإيمان على طلبة النور المنتشرين في كل أنحاء المعمورة فقد "أوجد الإمام النورسي علم كلام جديد مصدره القرآن، ونقل علم التوحيد القديم من نظريات فكرية وجدل بين الطوائف إلى سلوك جسّده طلبة النور."[61]

وجدير ذكره بأن بديع الزمان عند تأليفه لرسائل النور لم يكن متوفرا لديه أي كتاب أو مرجع، فقد كان في مدة تأليفه لها والبالغة ثلاثاً وعشرين سنة، يعيش ظروفا صعبة بين سجن ومنفى، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون، فلا مصدر لها سوى القرآن، ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى القرآن، ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها، فهي ملهمة من فيض القرآن ومن نجوم آياته"[62]. ولما كان منبعها الوحيد هو القرآن فإنها أثبتت حيوية القرآن لأبناء هذا الزمان، وأنه المخلَص من الأزمات التي يتجرع غصصها أهل العصر، وكما صرّح أحد المهتدين إلى الإسلام بأن "مؤلفا مثل رسائل النور، الذي يعكس نور القرآن ويضيء الكون، مثل هذا المؤلف لايمكن تجاهله أبدا، ذلك لأن الإسلام وحده الحائل والحاجز بين الإنسان والكارثة، وأنا أعتقد أن مستقبل الإسلام يعتمد على رسائل النور، وعلى الذين يتبعونها ويستلهمون من تعاليمها ودروسها."[63]

---

[60] بديع الزمان، سعيد النورسي، **المثنوي العربي النوري** (تحقيق إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري.ني.كي. ص 49.

[61] حسن إزرال، بديع الزمان **سعيد النورسي ومشروعه الإصلاحي في التربية والتعليم**، مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 3 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2011. ص 159.

[62] **الملاحق**، ص 208.

[63] كولن تورنر، **ثورة الإيمان** (ترجمة: أورخان علي) مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 1 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2010. ص18.

ويحسن في هذا المقام ذكر شهادة المفكر المغربي طه عبدالرحمن، فقد قال بعد اطلاعه على رسائل النور بإمعان: "ومن هنا يظهر جليا أن البعد الذي يكتسبه إنتاج بديع الزمان، لا ينحصر في تركيا حيث آثار الفلسفة (الكانطية)[64] قد فعلت فعلها وبدلت قيم أهلها تبديلا، ولا هو ينحصر في الأمة الإسلامية التي تفككت أوصالها، وفقدت وجهتها، وإنما يتعدى ذلك إلى العالم بأسره لينقذ الإنسان خاصيه وعاميه، من سلطان فكر فلسفي أضرّ بوجوده في هذا العالم، ومن كان هذا عمله، فما أجدر به أن يعد في حكماء العالم، الذين رفعوا همة الإنسان إلى الاضطلاع بأمور روحه كاضطلاعه بأمور جسمه، ومهدوا الطريق إلى تجديده، فاستوى إنسانا آخر، في عالم آخر".[65]

ولأن خير من يعرف بكتاب هو مؤلفه نفسه، فإننا نقتبس تعريف بديع الزمان لرسائل النور، فقد قال عنها: "إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية، نابعة من فيوضاته."[66]

ولا شك بأن أفضل سبيل لمعرفة رسائل النور كما هي عليه، هو قراءتها بتأن عدة مرات، وقراءة السيرة الذاتية لمؤلفها رحمه الله التي لم نتطرق إليها بإسهاب لكونها معلومة، تجنبا للتطويل.

---

[64] نسبة إلى إيمانويل كانط الفيلسوف الألماني (ت: 1804م)

[65] طه عبد الرحمن، **سؤال المنهج** (جمع رضوان محمود)، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع ص 180.

[66] **الملاحق**،ص 208.

الفصل الأول

ماهية الإنسان

1. تمهيد عن ماهية الإنسان

إن القارئ لكليات رسائل النور يلاحظ أن مؤلفها بديع الزمان قد تناول موضوع الإنسان في مواضع عديدة بعمق وأصالة، حيث يستجلي من خلالها الحقيقة الإنسانية بأبعادها المختلفة،ساعيا إلى تقديم رؤية متكاملة حول ماهية الإنسان ووظيفته وعاقبته. وكما أشار فريد الأنصاري فإن مصطلح الإنسان يعتبر " كما ورد في كليات رسائل النور من المفاتيح المفهومية، ومن أكبر المسالك الضرورية للدخول إلى العالم الفكري للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ومنظومته الفلسفية القرآنية، ذلك أنه بنى تأملاته للكون والحياة والمصير على التأمل في الذات الإنسانية."[67]

ولم ترد تلك البيانات في مبحث مستقل، بل جاءت متناثرة في مناسبات متفرقة، ما دعا الباحث إلى تجميع تلك القطع ووضعها في إطار موحد تتراءى من خلاله الصورة الكاملة التي رسمها بديع الزمان لهذا المخلوق المكرم في ضوء إرشادات الوحي.

ولعل أهم حافز دفع بديع الزمان إلى الاضطلاع بهذه المهمة هو إدراكه بأن الطريق إلى المعرفة الإلهية والتوحيد الخالص يمر من ذات الإنسان، لذا نراه يوجه كل سالك لبلوغ تلك الغاية بقوله: "إذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهل وتغلغل"[68]ذلك أن التأمل هو السبيل الأقصر لسبر أغوار النفس والغوص في أعماقها.

ولاشك في أن المطلع على آراء بديع الزمان حول قضية الإنسان يجد أنه يوليها عناية بالغة، باعتبارها قضية جوهرية، إذ إن الأسئلة الكبرى التي ما فتئ الإنسان يسأل نفسه عنها منذ فجر البشرية هي: من أنت؟ ولم؟

---

[67] فريد الأنصاري، **نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي**، إستانبول: مركز النور للدراسات، ص151.

[68] **المثنوي العربي النوري**، ص 256.

ومن أين؟ وإلى أين؟ وهي سر الخلقة ولغز الكون، جعلت بديع الزمان يسعى في كل مناسبة إلى الإجابة عن تلك الأسئلة المحيرة مستلهما إياها من تعاليم الكتاب الحكيم، لكونه المرجع الوحيد لكشف تلك المعميات.

هذا، وإن ما سنستعرضه في هذا الفصل عن حقيقة الإنسان لا يعدو أن يكون أمثلة لجواهر تدعو المستزيد إلى مراجعة بحورها في كليات رسائل النور لبديع الزمان.

في هذا الفصل الذي سنتناول فيه رؤى بديع الزمان حول الماهية الإنسانية، ونقصد بماهية الإنسان، ما يُعدُّ به الإنسان إنسانًا، أي نسعى للإجابة عن سؤال: ما هو الإنسان في التصور الإسلامي التي تعكس معالمه رسائل النور؟ فمن المعلوم أن الفكر البشري قدّم كثيرًا من الإجابات حول هذا السؤال الجوهري، وما يزال، لكن يظل الفكر الإسلامي وحده هو القادر على تقديم إجابة شافية لصلة منابعه بالوحي السماوي.

ونحن في هذا الفصل لن نناقش قضايا الماهية والوجود والعلاقة بينهما، ولن نتطرق إلى مقولات الفلاسفة حول أسبقية الماهية على الوجود أو العكس فليس هذا موضوع بحثنا، كل ما سنحاول استجلاءه هو معرفة أهم الخصائص التي يتميز بها الإنسان في أصل فطرته التي فطره الله عليها عن باقي المخلوقات، وعن موقع الإنسان في هذا الكون، وقد قسمنا البحث في ماهية الإنسان إلى ثلاثة مباحث أساسية:

الأول: كون الإنسان مرآة عاكسة للأسماء الإلهية

وقد خصص بديع الزمان مساحة واسعة في رسائله لمناقشة هذه المسألة، لأن النظر إلى الإنسان من هذا المنظور من شأنه أن يفيد في البيان عن أهمية الماهية الإنسانية من حيث اتصالها بالله وانتسابها إليه ، من جهة مظهريّة الإنسان لجميع الأسماء الإلهية، و"ينبغي أن نشير أن النورسي قد اتخذ موقفه من الأسماء رؤية للكون ككل، فالكائنات كلها فهارس لهذه الأسماء، وتجليات العالم كلها هي تجليات ونقوش لأسماء الله،

وهو يكون بذلك نحى منحى جديداً في علم الكلام لم نعهده من قبل"[69] وهذا المبحث أيضا ينقسم إلى ثلاثة مطالب، سنناقش في المطلب الأول مظهرية الإنسان للأسماء الإلهية من حيث الضدية، أي ما يتصف به الإنسان من صفات القصور والعجز والفقر التي بدورها تظهر صفات الكمال لله سبحانه، وفي المطلب الثاني سنبحث في مظهرية الإنسان للأسماء الإلهية من حيث النماذج الجزئية التي أودعها الله في ماهية الإنسان، والتي تمثل مفاتيح لمعرفة صفات الله تعالى المطلقة، أما في المطلب الثالث فسنتناول مظهرية الإنسان للأسماء الإلهية من حيث نقوش الأسماء الإلهية، وآثارها التي تبدو على ظاهر الإنسان و في باطنه.

الثاني: كون الإنسان مخلوقا في أحسن تقويم

وفي هذا المبحث سنبين أن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم من جهة الجسم الذي جهزه الله به، في المطلب الأول، وفي المطلب الثاني من حيث الحياة التي يتمتع بها، وفي المطلب الثالث سنوضح كيف أن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم من جهة تميّزه بالشعور والإدراك.

الثالث: كون الإنسان ثمرة لشجرة العالم

وسنتناول في هذا المبحث، كون الإنسان مثالا مصغرا للعالم، وكونه العلة الغائية من خلق الكون، وكونه النواة الأصلية له من حيث الحقيقة المحمدية.

---

[69] أحمد محمد سالم، **تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي**، القاهرة:دار سوزلر، ص283.

1.1: الإنسان مرآة عاكسة للأسماء الإلهية

يرى بديع الزمان كما يتضح في كثير من رسائله، أن ماهيات الأشياء، أي حقائقها تستند إلى تجليات الأسماء الحسنى، وأن شرف كل شيء وأوضاعه الجميلة منبعه تلك الأسماء، نذكر في ذلك على سبيل المثال قوله: "إن حقيقة كل شيء تتوجه إلى تجلي اسم من الأسماء الإلهية، ومرتبطة بها، وهي كالمرآة العاكسة لأنواره"[70] وبناءً على هذا القول فإننا إذا أردنا أن نعرف ماهية الإنسان، ونصل إلى حقيقته علينا تناول المسألة من زاوية تجليات الأسماء الحسنى حتى نصل إلى اليقين.

ويمكن من هذا أن نفسر كذلك سبب ضلال النظرات الوضعية وخطئها في تحديد ماهيته الإنسان، ذلك أنها قطعت صلة الإنسان بخالقه، واعتبرته مخلوقا أبترا، حيث نظرت إليه بصفته كائنا جاء إلى هذا العالم نتيجة المصادفة، بينما يرى بديع الزمان في رسائله أن ماهية الإنسان هي أمر ورد عليها من خارجها، وهذه نظرة متسقة مع التصور الإسلامي، فالكون في التصور الإسلامي مصنوع لله، وحكمته جل شأنه من إيجاده بما فيه من مكونات هو التعريف بذات الله الجليلة، كما ورد هذا المعنى في الحديث القدسي ((كُنتُ كنزًا مَخفِيًّا فَخَلَقْتُ الخَلْقَ لِيَعرِفُونِي))[71] وقد شرح الإمام محيي الدين بن العربي معنى هذا الحديث القدسي بقوله: " أي ليكون مرآة أشاهد فيها جمالي"[72] فكل شيء في العالم مرآة لتجليات الجمال الإلهي.

وإذا كان كل شيء يؤدي مهمة المرآة، فما الذي يميز الإنسان في هذا الأمر؟

---

[70] بديع الزمان، سعيد النورسي، **الكلمات** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: ري. ني. كي. ص 651.

[71] قال ملا علي القاري: معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أي ليعرفوني، كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما. ملا علي قاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 199/1. وشرح حديث 5725 -3660/9. والحديث يتناقله الصوفية كشفا لا نقلا، ينظر: الشعراني عبد الوهاب: لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية ج 2. ص 105.

[72] بديع الزمان، سعيد النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز** (تحقيق إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: ري. ني. كي. ص 26.

يذكر بديع الزمان أن الإنسان مرآة تتميز عن باقي مرايا الموجودات بصفته معكسا لجميع الأسماء الإلهية، وكونه مظهرا للاسم الأعظم، وللمرتبة العظمى لكل اسم، وكما بين عبدالحليم عويس إذا "امعنت النظر في هذه الرؤية التي يكاد النورسي ينفرد بها على هذا النحو التفصيلي والتطبيقي والتمثيلي الرائع، أيقنت أن النورسي كان يقدم رؤيته لأسماء الله الحسنى رؤية تركيبية ذات إطار معرفي قرآني يفسر به حركة الإنسان."[73]

والنظر إلى شيء ما على أنه مرآة يطلق عليه بديع الزمان مصطلح المعنى الحرفي وهو أمر يذكر أنه أدركه بعد أربعين سنة من رحلة العمر[74]، والمعنى الحرفي كما هو معلوم في علم النحو هو دلالة الشيء على معنى في غيره، بعكس المعنى الاسمي الذي يدل على معنى في ذاته، والنظر الى ماهية الإنسان ينبغي أن تكون بهذا المنظور الحرفي للوصول إلى معرفة الماهية الإنسانية على حقيقتها، فكما بين بديع الزمان أن " الماهية الإنسانية مظهر جامع لجميع تجليات الأسماء المتجلية في الكائنات"[75]ويقسم بديع الزمان المرآتية في ماهية الإنسان إلى ثلاث جهات، فالإنسان مرآة للأسماء والصفات الإلهية:

أولا: من حيث الضدية

أي أن ما في الإنسان من صفات سلبية كالنقص والقصور تكون سببا لإظهار الصفات الكمالية والجمالية لله تعالى، بمثل ما يكون الظلام سببا لظهور النور بسطوع أكبر.

ثانيا: من حيث النماذج

فالإنسان مرآة للأسماء والصفات من حيث النماذج والصفات الجزئية التي ينطوي عليها، والتي تمثل موازين لمعرفة صفات الله تعالى الكلية

---

[73] عبدالحليم عويس، **الرؤية النورسية لبعض القضايا الحضارية الشائكة**، مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 5 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2012. ص11.

[74] انظر: **المثنوي العربي النوري**. ص 225.

[75] بديع الزمان، سعيد النورسي، **الشعاعات** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: ري. ني. كي ص 95.

المطلقة، وقد مثّل بديع الزمان الإنسان بالمرآة لأن المرآة يرتسم فيها ما يقابلها وتصفه بما يتراءى فيها، ومن ذلك كانت ماهية الإنسان الحقيقية هي عبارة عما تمثل فيها من أنوار الأسماء الحسنى وما دلت عليه من صفات إلهية.

ومن نافلة القول التذكير بإن العقلاء جميعهم متفقون على أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم هو أجمل مرآة أظهرت جميع تجليات الأسماء الإلهيه بمراتبها العظمى، كما أنه مظهر للاسم الأعظم.

ثالثا: من حيث النقوش

أي أن الإنسان مرآة للأسماء الإلهية باعتبار نقوشها وآثارها الظاهرة عليه، والمتجلية في كيانه منذ اللحظة الأولى من خلقه، واستمرارا في مسيرة حياته.

1.1.1: من حيث الضدية

هناك آيات كثيرة في كتاب الله العزيز تبين أهم الملامح لماهية الإنسان، وهي كونها تنطوي على ضعف مطلق، وعجز غير متناه، ونقص لا حد له، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ اللهُ الذي خَلَقَكُم مِن ضَعْف﴾[76]وقوله تعالى: ﴿ وخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾[77] وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُم الفُقَراءُ إلى الله ﴾[78] وغيرها من الآيات الكريمة التي توضح هذه الحقيقة.

ولا عجب من وجود هذه الصفات السلبية في كيان الإنسان، إذا هو في التحليل النهائي مخلوق ينتسب في درجته الوجودية إلى فئة الممكنات،

---

[76] الروم: 54
[77] النساء: 28
[78] فاطر: 15

ظهر إلى ساحة الوجود وقد كان عدما ولا شيئا، بنص قول خالقه جل وعلا: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِن الدَّهْرِ لم يَكُن شَيئًا مَذْكُورً﴾[79]

ثم إن كل مؤمن يعتقد أن الله سبحانه هو وحده الواجب الوجود، الغني المطلق والمستغني على الإطلاق، وكل ما سواه من المخلوقات مفتقر إليه سبحانه، ومحتاج إلى فيض إيجاده وإمداده، وأشد الموجودات فقرا وأكثرهم عجزا هو هذا المخلوق المسمى بالإنسان، لأنه حادث ومتناه ومحدود ومقيد واحتياجاته لا متناهية، إلا أنه بفضل صفات النقص تلك يكون مهيئا لإظهار صفات الكمال المطلقة لله سبحانه بأسطع صورة، وهذا هو ما تعنيه رسائل النور حين تصف الإنسان بأنه مرآة عاكسة للأسماء الإلهية من حيث الضدية، وهي إحدى الأوجه الثلاثة التي يؤدي الإنسان من خلالها وظيفة المرآتية، وبعبارة بديع الزمان: "يكون الإنسان مؤديا مهمة مرآة قياسية صغيرة لإدراك صفات خالقه الكاملة، وذلك بما يملك من صفات قاصرة ناقصة، إذ كما أن الظلام كلما اشتد سطع النور أكثر، فيؤدي هذا الظلام مهمة إراءة المصابيح، فالإنسان أيضا يؤدي مهمة إراءة كمالات صفات بارئه سبحانه بما لديه من صفات ناقصة مظلمة"[80] فهذه الصفات المظلمة تظهر أنوار الصفات الإلهية.

ومن هنا يظهر لنا جليا أن الإنسان بهذا الاعتبار هو مجلى الأسماء الحسنى وصفات الجلال والجمال لله تعالى، إذ تظهر صفة القدرة المطلقة لله سبحانه على ماهية الإنسان بما يتصف به الإنسان من عجز عظيم، وصفة الرحمة الواسعة لله سبحانه تتجلى على الإنسان بما تنطوي عليه ماهية الإنسان من فقر جسيم، وبذلك يكون الإنسان مرآة لتجليات غير محدودة، يؤكد هذه الحقيقة بديع الزمان بقوله: "إن الله سبحانه قد أدرج في الإنسان عجزا لا حد له، وفقرا لا نهاية له، إظهارا لقدرته المطلقة وإبرازا لرحمته الواسعة، وقد خلقه على صورة معينة بحيث يتألم بما لا يحصى من الجهات، كما يتلذذ بما لا يعد من الجهات إظهارا للنقوش الكثيرة

---

[79] الإنسان: 1

[80] بديع الزمان، سعيد النورسي، **اللمعات** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: ري. ني. كي. ص 541.

لأسمائه الحسنى"[81] فقد أدرجت هذه الصفات في الإنسان لتظهر بها صفات الكمال لله تعالى.

وإذا عرف الإنسان الحكمة من انطوائه على صفات النقص والفقر والعجز يكون قد عثر على مفتاح لكنز عظيم، يوصله إلى المعرفة الإلهية، تلك المعرفة السامية التي هي سبب الوجود، وأهم ثمرة لحياة الإنسان، يقول بديع الزمان: إن الإنسان "يُعَرِّف بضعفه وعجزه وبفقره وحاجاته وبنقصه وقصوره، قدرة القدير ذي الجلال وقوته العظيمة وغناه المطلق ورحمته الواسعة"[82] فالإنسان بتلك الصفات يَعْرِف ويُعَرِّف.

ولأجل ذلك عدّ بديع الزمان العجز والفقر أهم عنصرين من عناصر منهجه للعروج إلى المعرفة الإلهية، والوصول إلى الله تعالى، واعتبرهما أسلم السبل وأقصر الطرق المؤدية إلى كعبة الكمالات، وهو في بيان غايات حياة الإنسان يخاطبه ويبين أن منها "إدراك درجات القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقتين، بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في نفسك، إذ كما تدرك أنواع الأطعمة ودرجاتها ولذتها بدرجات الجوع وبمقدار الاحتياج إليها، كذلك عليك فهم درجات القدرة الإلهية وثروتها المطلقتين بعجزك وفقرك غير المتناهيين"[83] ذلك أن العجز والفقر أرجى الوسائل لطرق باب الرحمة الإلهية.

وحيث أن ماهية الإنسان مركبة من صفات القصور تلك، توسل العارفون بالله في الحضرة الإلهية معترفين بنقصهم، ومنهم أويس القرني- رضي الله عنه- فقد كان يردد في دعائه المشهور هذه العبارات:

إلهي أنت ربي وأنا العبد وأنت الخالق وأنا المخلوق

وأنت الرزاق وأنا المرزوق وأنت المالك وأنا المملوك

وأنت العزيز وأنا الذليل وأنت الغني وأنا الفقير

---

[81] **المصدر نفسه**، ص 19.
[82] **الكلمات**، ص 810.
[83] **المصدر نفسه**، ص 137.

وأنت الحي وأنا الميت وأنت الباقي وأنا الفاني

وأنت الكريم وأنا اللئيم وأنت المحسن وأنا المسيء

وأنت العفو وأنا المذنب وأنت العظيم وأنا الحقير

وأنت القوي وأنا الضعيف وأنت المعطي وأنا السائل

وأنت الأمين وأنا الخائف وأنت الجواد وأنا المسكين

وأنت المجيب وأنا الداعي وأنت الشافي وأنا المريض[84]

كم يبين هذا الدعاء مدى الكمال الذي وصل إليه أهل الله عندما اعترفوا بنقصهم وعجزهم.

2.1.1. من حيث النماذج

بعد أن بينا الوجه الأول الذي يؤدي به الإنسان مهمة المرآة للأسماء الإلهية، نتناول هنا الوجه الثاني لمرآتية الإنسان لتلك الأسماء والصفات، فكما هو معلوم عند كل مطلع على علم الكلام، أن الصفات الإلهية تنقسم إلى أقسام ومن تلك الأقسام صفات المعاني أو الصفات الثبوتية كما يسميها بعض المتكلمين، ويدخل ضمنها من صفات الله سبحانه العلم الإرادة والسمع والبصر.

فإننا نلاحظ أن رسائل النور تعتبر أن الحكمة من إيداع الله سبحانه نماذج جزئية لتلك الصفات في ماهية الإنسان، هي أن تكون للإنسان كالمفاتيح أو وحدة قياسية كما عبّر عنها بديع الزمان لمعرفة الصفات المطلقة لله تعالى، فهي إذن مقصودة لغيرها، وهي صفات جزئية فرَضية لكنها آلات انكشاف لصفات حقيقة مطلقة لذات الله عز وجل، يشرح بديع الزمان هذه المسألة بقوله: "إن الإنسان مرآة لتجليات الأسماء الحسنى، إذ إن ما وهب من نماذج جزئية من العلم والقدرة والبصر والسمع والتملُّك

---

[84] السيوطي، جلال الدين الدين، **اللآلئ المصنوعة**، ج 2 القاهرة: دار المعرفة ج2 ص 296.

والحاكمية وأمثالها من الصفات الجزئية، يصبح مرآة عاكسة يعرف منها الصفات المطلقة لله سبحانة"[85]فهي موهوبة له لتؤدي وظيفة المرآة.

إضافة لذلك، ترى رسائل النور أن لهذه الصفات علاقة بمعنى الأمانة التى أبت السماوات والأرض والجبال أن تحملها، وسنتطرق لهذه النقطة بشيء من التفصيل في المبحث الثاني حول وظيفة الإنسان، وقد ذكر بديع الزمان في بيان غايات حياة الإنسان مخاطبا إياه: بأنها "معرفة الصفات المطلقة للخالق الجليل، وشؤونه الحكيمة، ووزنها بما وهب لحياتك من علم جزئي وقدرة جزئية وإرادة جزئية أي جعلها نماذج مصغرة ووحدة قياسية لمعرفة تلك الصفات المطلقة الجليلة"[86] فهذه الصفات الجزئية وسائل لمعرفة صفات كلية حقيقية.

ولا شك أن قيام الإنسان بدور المرآتية للأسماء الإلهية من جهة النماذج المودعة فيه، هو أمر من مقتضى الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، فالإنسان في أصل فطرته مخلوق على هذا النحو من المرآتية لما فيه من نماذج جزئية، وكما بينا أعلاه فإن هذه المسألة تتصل من ناحية بقضية الأمانة التي حملها الإنسان، فهي تعني من جهة كما بينته رسائل النور (الأنا) التي في الإنسان، لكن الفرق بين تناولنا للمسألة في هذا المبحث المتعلق بماهية الإنسان، وذلك المبحث المتعلق بوظيفة الإنسان، هو أننا سنناقش في مبحث الأمانة هذه الصفات الجزئية الإنسانية من جهة كونها كُوّات إلى معرفة أسماء الله المطلقة، والتحقق بالتوحيد الخالص، وتجنب الوقوع في الشرك عندما ينسب الإنسان نشأة تلك الصفات إلى نفسه.

بينما نناقش في هذا المبحث الذي نحن بصدده كون الإنسان مرآة للأسماء الإلهية من جهة دلالة الإنسان على الأسماء الإلهية من حيث النماذج المودعة فيه، وكما يبين بديع الزمان أن "الإنسان وحدة قياس – بما يملك من جامعية حياته – لمعرفة صفات الله الجليلة، وشؤونه الحكيمة، وفهرس لتجلي أسمائه الحسنى، ومرآة ذات شعور بجهات عدة لذات الحي

---

[85] **الكلمات**، ص 811.

[86] **المصدر نفسه**، ص 136.

القيوم"[87] فهذه الصفات التي انطوت عليها الماهية الإنسانية تظهر الأسماء الإلهية، وهذه المسألة لها صلة بتجلي الأحدية الإلهية وتشخصها، وإلى ذلك يشير بديع الزمان بقوله: " في الإنسان نماذج أسس ذلك التشخص، تشخص الأحدية، وهي العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وأمثالها من المعاني، فتشير تلك النماذج إلى تلك الأسس"[88] فكل إنسان مظهر لأحدية الله سبحانه.

ومن ناحية أخرى فإن في الإنسان نماذج من الحسيات والمشاعر التي تشير إلى شؤون الله تعالى المقدسة، وقد أدرك بديع الزمان هذا المعنى بعد تأمل عميق في الماهية الإنسانية، ويوردها في إحدى مناجاته فيقول: "حسبي من الحياة ووظيفتها كوني كلمة مكتوبة بقلم القدرة ومفهمة دالة على أسماء القدير المطلق الحي القيوم بمظهرية حياتي للشؤون الذاتية لفاطري الذي له الأسماء الحسنى"[89] وما أعظم شرف الإنسان لكونه مظهراً لأسماء خالقه.

وإن مما يستجلب نظر القارئ لرسائل النور حديث بديع الزمان عن الشؤون الإلهية، وهي قضية في غاية العمق، لا يدركها إلا من كان نافذ البصر في المعنويات لأن الشؤون الإلهية هي منشأ صفاته جل شأنه، التي هي مصدر الأسماء، وينظر بديع الزمان إلى بعض أحاسيس الإنسان ومشاعره بصفتها نماذج تمثل مرآة لتلك الشؤون إذ يقول: "الحب والرضى والانشراح والسرور وما شابهها من المعاني التي تتفجر لدى الإنسان في ظروف خاصة، يؤدي الإنسان بها مهمة الإشارة إلى هذه الأنواع من الشؤون الإلهية بما يناسب قدسية الذات الإلهية وغناه المطلق وبما يليق به سبحانه"[90] وفي هذا إشارة إلى أن كل ما يمتاز به الإنسان من صفات ومشاعر لها قيمة وأهمية لما تدل عليه من أمور جليلة.

---

87 **اللمعات**، ص 542.
88 **الشعاعات**، ص11.
89 **المصدر نفسه**، ص 93
90 **اللمعات**، ص 542.

وهكذا نلاحظ مما بيناه آنفا أن رسائل النور تعتبر تلك الصفات الجزئية التي منحها الله، وأدرجها في كيان الإنسان، منافذ تطل إلى أنوار الصفات الربانيةفقد كان بديع الزمان يقول في دعائه: "وكذا حسبي من الحياة ووظيفتها، كوني ككلمة مكتوبة بقلم القدرة، ومفهمة دالة على أسماء القدير المطلق الحي القيوم، بمظهرية حياتي للشؤون الذاتية لفاطري الذي له الأسماء الحسنى."[91]

وخلاصة القول في هذه القضية، هي أن رسائل النور تعرض هذه الناحية من الإنسان كي يدرك من خلالها قيمة نفسه، ودلالة ذاته الجزئية على صفات مطلقة لصانعه الجليل، حيث عرّف بديع الزمان ماهية حياة الإنسان الذاتية بأنها "فهرس الغرائب التي تخص الأسماء الحسنى، ومقياس مصغر لمعرفة الشؤون الإلهية وصفاتها الجليلة، وميزان للعوالم التي في الكون، ولائحة لمندرجات هذا العالم الكبير، وخريطة لهذا الكون الواسع، وفذلكة لكتاب الكون الكبير، ومجموعة مفاتيح تفتح كنوز القدرة الإلهية الخفية، وأحسن تقويم للكمالات المبثوثة في الموجودات"[92] فالنماذج الجزئية التي في الإنسان مفاتيح لكنوز الأسماء الإلهية الجليلة.

3.1.1. من حيث النقوش

الوجه الثالث الذي يعكس به الإنسان أسماء الله الحسنى هو النقوش التي تبين تلك الأسماء، فالإنسان كائن بديع في صنعته، يستقرئ على صفحة وجوده جميع صفات صانعه، فهو مخلوق أبدعه الله على أكمل هيئة، إذ يمكن للمتأمل أن يستجلي آثار الصنعة الإلهية فيه، فهو أعظم مجلى لها، وهكذا قرأ بديع الزمان ماهية الإنسان وتبين له أنه مظهر للاسم الأعظم كما أنه مظهر لجميع نقوش الأسماء الحسنى فيقول: " كما أن في الأسماء

---

[91] **الشعاعات**، ص 93.

[92] **الكلمات**، ص 137.

الحسنى اسما أعظما لله تعالى، فهناك نقش أعظم في نقوش تلك الأسماء وهو الإنسان."[93]

وبديع الزمان يدعو الإنسان في العديد من رسائله إلى التأمل في نفسه ليدرك ماهيته، ويتحقق بإنسانيته، ذلك أن الإنسان يمثل أجلى مرآة للأسماء الحسنى لأن " الماهية الجامعة للإنسان فيها أكثر من سبعين نقشا ظاهرا من نقوش الأسماء الإلهية"[94] وقد ورد في رسائل النور أمثلة عديدة للأسماء التي تظهر جلواتها على كيان الإنسان، ومنها أسماء الله تعالى كالخالق والرحمن والكريم واللطيف، يعرض بديع الزمان أثارها بقوله: "إن الإنسان من كونه مخلوقا يبين اسم الصانع الخالق، ويظهر من حسن تقويمه اسم الرحمن، ويدل من كيفية تربيته ورعايته على اسم الكريم واسم اللطيف وهكذا يبرز الإنسان نقوشا متنوعة ومختلفة للأسماء الحسنى المتنوعة بجميع أعضائه وأجهزته وجوارحه، وبجميع لطائفه ومعنوياته، وبجميع حواسه ومشاعره."[95]

إذن يفهم من ذلك أن الإنسان بملامحه وأعضائه الظاهرة وأجهزته ولطائفه الباطنة، يعكس بوضوح أسماء فاطره، بل يدل على وجودها أكثر بدرجات من دلالته على وجود نفسه، لأن المحاسن البادية على المصنوعات إنما منشؤها ومنبعها أسماء الله تعالى، كما يشيرإلى ذلك بديع الزمان بقوله: "إن الجمال والكمال في الأشياء يعودان إلى الأسماء الإلهية، وإلى نقوشها وجلواتها من زاوية نظر الحقيقة، وحيث أن تلك الأسماء باقية وتجلياتها دائمة فلاشك أن نقوشها تتجدد وتتجمل وتتبدل."[96]

وكما ترى، فإنه ينبغي على من أراد الوصول إلى منبع تلك الكمالات، وأصل ذلك الجمال، أن لا يحصر نظره في تلك الظلال، ويتشبث بتلك الفروع، وإنما عليه النفوذ إلى أعماقها للوصول إلى حقيقة الحقائق لأن " كل أثر من آثار الأحد الصمد إنما هو رسالته المكتوبة، كل منها يبين أسماء

---

[93] **المصدر نفسه**، ص 811.
[94] **المصدر نفسه**، ص 811.
[95] **المصدر نفسه**، ص 811.
[96] بديع الزمان، سعيد النورسي، **المكتوبات** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: ري. ني. كي. ص358.

صانعه، فإن استطعت العبور من النقش الظاهر إلى المعنى الباطن، فقد وجدت طريقا إلى الأسماء الحسنى من خلال المسميات."[97]

ومع كون تلك النقوش الأسمائية ظاهرة للعيان فهي تتوارى عن ذوي الحس الكثيف، ولا تنكشف إلا من خلال استجلائها بنور الإيمان الذي يبرزها للأنظار، لأن أكبر جناية يرتكبها الكفر في حق الموجودات جميعا ولاسيما في حق الإنسان هي طمس تلك النقوش وتغييبها، بينما الإيمان يظهر تلك النقوش واضحة للأنظار كما يقرر بديع الزمان بأنه "إذا استقر نور الإيمان في هذا الإنسان بين ذلك النور جميع ما على الإنسان من نقوش حكيمة، ويستقرؤها الآخرين، فيقرأها المؤمن بتفكر ويشعر بها في نفسه شعورا كاملا، ويجعل الآخرين يطالعونها ويتملونها، أي كأنه يقول: ها أنذا مصنوع الصانع الجليل ومخلوقه انظر كيف تتجلى في رحمته وكرمه. "[98]

ولما كان الإنسان مخلوقا شاعرا، تجيش في نفسه ألوان من الإحاسيس، فإن عليه أن يحسن توجيهها بأن يرى جلوات الأسماء الإلهية ونقوشها ويجعلها محط الاستحسان والمحبة، لأنها هي الجميلة بذاتها، وما الموجودات على تنوعها إلى مرايا عاكسة، ورسائل النور تؤكد على هذا المعنى في مواطن عديدة فالموجودات في نظرها "تجليات أسماء لصانع قدير، وظلال أنوار أسمائه الحسنى، وآثار أفعاله ونقوش قلم قدره، وصحائف قدرته، ومرايا جمال كماله."[99]

وإذا أردنا معرفة كيفية تجلى الأسماء الإلهية على ماهية الإنسان من خلال نقوشها فإننا نجد تفصيلها في المبحث الأول من الموقف الثالث للكلمة الثانية والثلاثين، حيث بينت رسائل النور أثار تجلي عشرين اسما من الأسماء الحسنى على ظاهر الإنسان، بإيراد مثال يقرب تلك المعاني إلى الأفهام، وهي عن فنان بارع في النحت والتصوير، و يحسن أن نقتبس هنا ما يتعلق بتطبيق ذلك التمثيل على كيان الإنسان، حيث يقول بديع

---

[97] **الكلمات**، ص 236.
[98] **المصدر نفسه**، ص349.
المكتوبات، ص282.[99]

الزمان: " ينظم سبحانه جميع الأشياء كليها وجزئيها، ينظمها جميعا بتجليات أسمائه الحسنى، ويعطي لكل منها مقدارا معينا حتى يجعله يستقرئ اسم المقدر، المنظم، المصور، وهكذا بتعيينه سبحانه حدود الشكل العام لكل شيء تعيينا دقيقا يظهر اسمي العليم الحكيم، ثم يرسم بمسطرة العلم والحكمة ذلك الشيء ضمن الحدود المعينة رسما متقنا إلى حد يظهر معاني الصنع والعناية، وباليد الكريمة للصنعة، فإن كانت الصورة إنسانا أضفى على أعضائه كالعين والأنف والأذن ألوانا من الحسن والجمال."[100]

ويعقب في السياق نفسه بعد بيان كيفية تجلي الأسماء الإلهية لمحات عن تجلي الشؤون الإلهية فيذكر أن "الجمال الذاتي والكمال الذاتي للصانع ذي الجلال، والحكيم ذي الجمال، والقدير ذي الكمال، يريدان الترحم والتحنن فيسوقان اسمي الرحمن والحنان إلى التجلي، والترحم والتحنن يسوقان اسمي الرحيم والمنعم إلى التجلي، وذلك بإظهار الرحمة والنعمة معا، والرحمة والنعمة تقتضيان شؤون التودد والتعرف وتسوقان اسمي الودود والمعروف إلى التجلي فيظهران على المصنوع، والتودد والتعرف يحركان معنى اللطف والكرم ويستقرآن اسمي اللطيف والكريم في بعض نواحي المصنوع، وشؤون اللطف والكرم تحرك فعلي التزيين والتنوير فتستقرئ اسمي المزين المنور بلسان حسن المصنوع ونورانيته."[101]

بهذه الصورة تعرفنا رسائل النور على ماهية الإنسان، من حيث مظهريتها للأسماء الإلهية، وهذا بدوره يفتح لنا آفاقا جديدة في تقدير حقيقة الإنسان، والوقوف على هويته السامية.

نختم هذا المبحث بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ورد فيه ((إن الله خلق آدم على صورة الرحمن))[102] وفي بيان معنى الحديث تعددت أقوال العلماء يمكن إجمال تلك الأقوال بما بينه النووي فقد قال رحمه الله: "اختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة الضمير في صورته

---

[100] **الكلمات**، ص736.

المصدر نفسه، ص737.[101]

[102] انظر: الحافظ ابن حجر في الفتح ١٨٣/٥؛ ابن أبى عاصم في السنة ٢٢٨/١؛ الطبرانى ٤٣٠/١٢؛ الدارقطنى، الصفات (ص ٣٦، رقم: ٤٨) عن ابن عمر بلفظ: (لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل).

عائد على الأخ المضروب، وهذا ظاهر رواية مسلم، وقالت طائفة يعود إلى آدم وفيه ضعف، وقالت طائفة يعود إلى الله تعالى ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص"[103] أما بديع الزمان فقد شرح معنى هذا الحديث بأن الإنسان هو أسطع مرآة عاكسة للأسماء الإلهية، فيقول: "لهذ الحديث الشريف مقاصد جليلة كثيرة، منها أن الإنسان مخلوق على صورة تظهر تجلي اسم الله (الرحمن) إظهارا تاما"[104] فرسائل النور بهذا التفسير تصحح بعض المفاهيم الخاطئة التي تذهب في تأويل هذا الحديث مذاهب لا تتوافق مع أصول أهل السنة، وقد ردّ القرطبي على هذه المذاهب المجسمة التي تشبِّه الله جلا وعلا بخلقه بقوله: " وقع البيان بقوله (إن الله خلق آدم على صورته) يعني على صفاته... وفي رواية (على صورة الرحمن) ومن أين تكون للرحمن صورة متشخصة، فلم يبق إلا أن تكون معاني"[105]

نخلص من ذلك أن بديع الزمان لفت النظر إلى معنى دقيق، انفرد به، يتعلق بماهية الإنسان من خلال شرحه لذلك الحديث الشريف،حيث يقول "فدلالة الإنسان عليه سبحانه ظاهرة قاطعة جلية، تشبه في قطعيتها وجلائها دلالة المرآة الساطعة لصورة الشمس وانعكاسها، على الشمس نفسها."[106]

---

[103] النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج**، ج 16 بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج6 ص166

[104] **اللمعات**، ص 141.

[105] القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن** (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش) ج 20 القاهرة: دار الكتب المصرية، ج2 ص114.

[106] **اللمعات**، ص 141.

2.1. الإنسان ثمرة لشجرة العالم

إن كل قارئ لآيات الكتاب الحكيم، يجد أن كثيرا من الآيات التي تتناول خلق الإنسان وماهيته، تشبه الإنسان ونشأته بالزرع والنبات، مثل قوله تعالى: ﴿والله أَنْبَتَكُم من الأَرضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُم فِيهَا وَيُخرِجُكُم إخراجًا﴾[107]وكذلك قوله تعالى في تشبيه صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم في أواخر سورة الفتح: ﴿ كَزَرعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَه ُفَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِه ﴾[108]وغير ذلك من الآيات الكريمة، ولما كان منبع رسائل النور الأول هو القرآن الكريم، فإن بديع الزمان استلهم تصويرات القرآن، وما ضربه القرآن من أمثال تبين حقيقة الكون وماهية الإنسان، حيث ورد في مواضع كثيرة من رسائل النور تشبيها للعالم بأنه شجرة، وتصويرا للإنسان بأنه ثمرة ونتيجة لتلك الشجرة، من ذلك قول بديع الزمان: "كذلك الأمر في الشجرة المسماة بالكون، التي تمثل العناصر أغصانها، وما في نهايات تلك العناصر من أوراق وأزاهير تمثل النباتات والحيوانات، وما في قمم تلك الأغصان وفي ذروة تلك الأوراق والأزاهير من ثمرات تمثل الإنسان"[109] ويستبين من خلال مقولات بديع الزمان أنه أوقع ذلك التشبيه لثلاثة اعتبارات:

أولا: لأن الإنسان هو المثال المصغر لهذا العالم

كما هو الحال في الثمرة التي هي مثال مصغر للشجرة، وأنموذج جامع لها.

ثانيا: لكون الإنسان علة غائية من خلق هذا العالم

مثلما أن كل ما تحويه الشجرة من عروق وجذوع وفروع وأوراق متجه في حركته لخدمة الثمرة، فالكون كذلك بكل مشتملاته من عناصر وأجرام وأحياء يحوم حول مصالح الإنسان ويسعى لخدمته ويلبي احتياجاته.

---

[107] نوح: 18
[108] الفتح: 29
[109] **الشعاعات**، ص24

ثالثا: لأن الماهية الإنسانية هي النواة الأصلية لخلقة العالم

وتستشهد رسائل النور لتأييد هذه الحقيقة بدلائل عقلية عن طريق القياس التمثيلي تأييدا للأدلة النقلية التي تشير إلى أن النور المحمدي هو المنشأ لهذا العالم، وأن أول ما خلق الله هو نور النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم خلق بنوره هذه الكائنات.

وفي سياق التأكيد على منزلة الإنسان من الكون وتشبيهه بالثمرة يقول بديع الزمان: "إن الإنسان لكونه أجمع وأبدع المصنوعات فهو الثمرة الشعورية لشجرة الخلقة، أي هو لها كثمرة ذات شعور، فلكونه كالثمرة فهو ما بين أجزاء الكائنات جزء أجمع وأبعد من جميع الأجزاء، فلكون نظره عام وشعوره كلي يرى مجموع شجرة الخلقة، ولكون شعوره كليا يعرف مقاصد الصانع، فهو المخاطب الخاص للصانع"[110]وسنتناول فيما يلي هذه الاعتبارات مع ذكر بيانات من رسائل النور حولها.

1.2.1: المثال المصغر

عرف الحكماء في مصنفاتهم الإنسان بأنه عالم أصغر، كما أشار إلى ذلك الراغب الأصفهاني: "فالإنسان من حيث أنه بوساطة العالم حصل، ومن أركانه وقواه أُوجِد، هو العالم، ومن حيث صغر شكله وجُمِع فيه قواه كالمختصر من العالم، فإن المختصر من الكتاب هو الذي قُلِّل لفظه واستوفى معناه، والإنسان هكذا هو إذا اعتُبر بالعالم ومن حيث أنه جُعِل من صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالزُبد من المخيض"[111] ونظر الإنسان إلى نفسه من هذه الزاوية تكسبه الشعور بتقدير الذات، وينفي عنه الشعور بالاغتراب في هذا الكون لما يدركه من مكانته في هذا

---

[110] **المصدر نفسه**، ص24.

[111] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، بيروت: دار العلم، ص28.

العالم ذلك أن " مفهوم الإنسان بوصفه عالما صغيرا ممثلا للعالم الكبير ذو أهمية كبرى فيما يتعلق بمسألة العلم والمعرفة"[112]

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن سبب إطلاق هذه التسمية عليه هو كون الإنسان جامع في ماهيته لما تفرق في الأكوان، ورسائل النور أيضا تسير على ذلك النسق، فيرد فيها لفظ العالم الأصغر، ويقصد به الإنسان،كما يرد فيها لفظ الإنسان الكبير ويقصد به الكون، ذلك أن الإنسان هو أنموذج ومثال مصغر للعالم، ويبين بديع الزمان هذه الحقيقة بقوله:أن "عناصر الإنسان مثلما تشير إلى عناصر الكون، وعظامه تنبئ عن أحجاره وصخوره، وأشعاره توحي إلى نباتاته وأشجاره، والدم الجاري في جسمه والسوائل المختلفة المترشحة من عيونه وأنفه وفمه تخبر عن عيون الأرض، وينابيعه، ومياهها المعدنية، كذلك تخبر روح الإنسان عن عالم الأرواح، وحافظته عن اللوح المحفوظ، وقوة خياله عن عالم المثال"[113] أي إن كل مافي الكون من مخلوقات عظمت أو صغرت لها في الإنسان أمثلة مصغرة.

يتضح من ذلك أن الإنسان ينطوي على عظمة معنوية، فهو نظير الكون وخلاصته، يقول بديع الزمان: "الإنسان بمثابة فهرس مصغر للكون كله بما يملك من صفات جامعة، وكأنه مثاله المصغر، لذا فتجليات الأسماء الإلهية في الكون عامة تتجلى في الإنسان بمقياس مصغر"[114]

ومن زاوية أخرى إذا نظرنا إلى الكون على أنه كتاب كبير يحتوي على فصول كثيرة، فإن رسائل النور تعد الإنسان فهرسا يحتوي على مضامين ذلك الكتاب الكوني بصورة مجملة، وفي هذا المعنى وردت العبارات التالية لبديع الزمان " كتب ذلك الصانع المعجز المطلق كتاب السماوات والأرض، ذلك الكتاب الضخم في نسخة مصغرة وهي الإنسان،

---

[112] العطاس، محمد نقيب، **الإسلام والعلمانية** (ترجمة: محمد الطاهر الميساوي) ماليزيا: المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، ص163.

[113] **اللمعات**، ص542.

[114] **المصدر نفسه**، ص542.

وإذا ماجعل هذا الإنسان منتخبا وخلاصة كاملة لذلك الكتاب، فإنه سيملك ذلك الشرف والكمال والقيمة العالية."[115]

فالإنسان إذن خلاصة للعوالم وتم انتخابه من بين الموجودات جميعا، وحكمة البارئ سبحانه من جعل هذا الإنسان بهذه الأوصاف هو أن يدرك معاني أسماء الله الحسنى المتجلية على الموجودات والعوالم كلها ، كما أشار إلى ذلك بديع الزمان "إن الإنسان هو نسخة جامعة لما في الوجود من خواص، حتى يشعره الحق سبحانه وتعالى جميع أسمائه الحسنى المتجلية بما أودع في نفس الإنسان من مزايا جامعة"[116] فالله سبحانه وتعالى كما خلق ذلك العالم فهو الذي خلق هذا الإنسان وجعلة ثمرة تلك الشجرة إذ أن كلاهما من معجزات قدرته.

ولتقريب الصورة إلى الأذهان فيما يتعلق بمكانة الإنسان في العالم كان بديع الزمان يعلق في مقرّ إقامته لوحة تحتوي على سورة يس مكتوبة بخط دقيق داخل حروف كلمة (يس)، وقد عبّر عن هذا المعنى في رسائله بأن "الإنسان كصورة يس كتبت فيها سورة يس"[117]أي كما أن الإنسان هو آية معجزة في الكون فإن فيه جميع مافي الكون من الآيات بصورة مجملة.

ولما كانت أكثر مسائل الكائنات مكتوبة في ماهية الإنسان، تعتبر رسائل النور خلقة الإنسان أعجب من خلقة العالم، رغم أن الإنسان والكون كلاهما مظهران لتجلي صفات الله تعالى، يقول بديع الزمان: "لأن العالم الأكبر أي الكون، والإنسان وهو العالم الأصغر ومثاله المصغر يظهران معا دلائل الوحدانية المسطرة في الآفاق والأنفس"[118] وهذا التماهي والتكامل بين الإنسان والكون يعد دليلا واضحا كالشمس في وضح النهار على أن كليهما من إيجاد صانع واحد وأثر لمبدع متفرد في خلقته.

ثم إن هذه النظرة التي تقدر الإنسان باعتباره عالما في حد ذاته تزيد من شعور الإنسان بقيمة نفسه، ويدفعه ذلك إلى التسامي في مساعيه

---

[115] **المصدر نفسه**، ص542.
[116] **الكلمات**، ص810.
[117] **المصدر نفسه**، ص863.
[118] **المكتوبات**، ص285.

وأعماله بما يناسب تلك القيمة الممنوحة له، فالإنسان ليس جزء فحسب من هذا العالم لا أهمية له، بل هو عنصر بديع، يكتسب العالم قيمته من تواجد هذا المخلوق المميز فيه، فالإنسان أبرز الدلائل على صفات الخالق ووحدانيته، وقد ورد هذا المعنى في رسائل النور "إن في الإنسان الصنعة المنتظمة المتقنة الموجودة في الكون، وإذ تشهد الصنعة التي في الدائرة الكبرى على الصانع الواحد، تشير الصنعة الدقيقة المجهرية الموجودة في الإنسان إلى ذلك الصانع أيضا وتدل على وحدته."[119]

وإن مما ينبغي تقريره هنا أن المعارف الحديثة التي توصل إليها الإنسان تثبت ما بيناه آنفا من كون الإنسان مثالا مصغرا للكون، فالناظر إلى علم الكيمياء يجد أن العالم مؤلف من عناصر ذكر معظمها في الجدول الذري، ولدى التدقيق يتبين لنا أن جميع تلك العناصر المتفرقة في الكون موجودة بنسب تقل أو تكثر في جسم الإنسان لكون " الماهية الإنسانية مثال مصغر للكائنات، فما من شيء في العالم إلا ونموذجه في الإنسان."[120]

ولا ينطبق هذا الكلام على العالم الجسماني فحسب، بل إن في الإنسان نماذج من العوالم الغيبية، ذلك أن وجود هذه النماذج في الإنسان دليل على وجود تلك العوالم في الحقيقة، كما تبين ذلك رسائل النور "فالحجة القاطعة على وجود اللوح المحفوظ، وعالم المثال، و نموذجها المصغر هو مافي رأس الإنسان من قوة حافظة، وما يملك من قوة خيال، فمع أنهما لا تشغلان حجم حبة من خردل إلا أنهما تقوم بوظائفهما على أتم وجه"[121].

ونستنتج من ذلك أن العالم ليس منحصرا فيما نراه من عالم جسماني ندركه بحواسنا الخمس، بل إن هناك عوالم غيبية أخبرنا عنها الوحي الإلهي فنحن وإن لم نتصل بها مباشرة فإن وجود نماذج جزئية لها في هويتنا يجعلنا نتيقن وجودها في العالم الخارجي، لذا يشبه بديع الزمان الإنسانفي سياق آخر بأنه قصر جلبت عناصر بنائه من أنحاء مختلفة حتى ائتلفت في كيانه حيث يقول: " كل كائن بناء وقصر، ولا سيما الإنسان،

---

119 **المصدر نفسه**، ص285.
120 **الكلمات**، ص314.
121 **المصدر نفسه**، ص 181

فهو أجلُّ تلك القصور ومن أعجبها، لأن قسما من الأحجار الكريمة لهذا القصر البديع من عالم الأرواح، وقسم منها من عالم المثال واللوح المحفوظ، وقسم منها من عالم الهواء ومن عالم النور، ومن عالم العناصر"[122] وبناءا على على هذا التشبيه البليغ فإننا نستيقن بأن الإنسان "مكون من عناصر روحية المنشأ والمصدر، وفي غاية السمو والشفافية، ومن عناصر مادية غاية في اللطافة والرقة"[123]

2.2.1: العلة الغائية

الإنسان مخلوق مكرم، يتبوأ مكانة عظيمة في منظومة الخلقة، فهو المقصود من خلق الموجودات، وكلها مسخر له، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وسَخَّرَ لَكُم مَا في السَّمَاواتِ والأرضِ جَمِيعًا مِنه﴾[124]

وفي ضوء هذه الآية التي تخبرنا بأن كل شيء مسخر للإنسان يوضح بديع الزمان في رسائله بأن الإنسان كذلك هو العلة الغائية من خلق الكون، فيقول: "إن الحي القيوم سبحانه قد أراد وجود الإنسان في هذا الكون فخلق الكون لإجله"[125] ونجد كلاما مشابها في تأكيد هذا المعنى عند ابن عربي إذ يقول: "إن الإنسان الكامل أكمل الموجودات وهو الغاية، ولما كانت الغاية هي المطلوبة بالخلق المتقدم عليها فما خُلِق ما تقدم عليها إلا لأجلها وظهور عينها"[126] ويفهم من ذلك أن الإنسان هو محط العناية الإلهية منذ الأزل، وأن إرادة الله سبحانه اقتضت وجود هذا الإنسان المعزز في هذا العالم.

ولتجسيد هذه الحقيقة يصور بديع الزمان العالم بالشجرة ويمثل الإنسان ثمرتها فيقول: "الإنسان هو ثمرة شجرة الكائنات، إذ المقصود من إيجادها

---

[122] **اللمعات**، ص188.
[123] الشفيع الماحي أحمد، **الأمثال في رسائل النور**، إستانبول: دار سوزلر، ص240.
[124] الجاثية: 13
[125] **اللمعات**، ص 539.
[126] ابن عربي، محيي الدين، **الإنسان الكامل**، مصر: وكالة سفنكس للنشر والترجمة ، ص4

إنما هو الإنسان"[127]ويؤكد المعنى نفسه في موضع آخر بقوله: "إن الصانع القدير باسمه الحكم الحكيم قد أدرج في هذا العالم ألوف العوالم المنتظمة البديعة، وبوأ الإنسان -الذي هو أكثر من يمثل الحكم المقصودة في الكون وأفضل من يظهرها- موقع الصدارة، وجعله بمثابة مركز تلك العوالم ومحورها إذ يتطلع ما فيها من حكم ومصالح إلى الإنسان."[128]

وعلى هذا، فإن الإنسان في منظور رسائل النور القرآني هو المقصود من خلق الموجودات، وهو ثمرة شجرة العالم ونتيجة خلق الأفلاك، فالله سبحانه الحي القيوم جعل الإنسان في مركز العوالم، وجعل رحى الكون تدور حوله، فهو أسمى ذوي الحياة، و أكمل ذوي الشعور، يشير بديع الزمان إلى هذه الحقيقة بهذه العبارات " مالك الملك اختار الأرض من الكون، واختار الإنسان من الأرض، ووهب له مكانة سامية وأولاه الاهتمام والعناية، واختار الأنبياء والأصفياء من بين الناس."[129]

نستخلص من هذا، أن رسائل النور تحتفي كثيرا بالإنسان، لكونه أسمى ذوي الحياة والشعور، ولأنه المقصد النهائي من إيجاد العالم، وترى أن للإنسان منزلة رفيعة في هذا العالم، لتذكير الإنسان بقيمته، حتى يدركها ويعمل ما بوسعه ليعيش حياة تليق بإنسانيته التي يمتاز بها.

ويحسن في هذا المقام أن نشير إلى قول بديع الزمان في إحدى رسائله العربية: "إن الفاطر الحكيم جلت حكمته، ودقت صنعته متوجه بألطف قدرته وأتم عنايته، وأكمل رحمته وأدق حكمته، من العالم إلى الأرض ومنها إلى ذوي الحياة، ومنهم إلى الإنسان، ومن فرد الإنسان إلى قلبه، ومن نوع الإنسان إلى ما هو قلب النوع وقلب العالم، ونواته التي خلق العالم عليها، وثمرته المنورة التي انتهى إليها مخلوق لإجلها."[130] وبمثل هذه البيانات تعرف رسائل النور الإنسان بأصل ماهيته، وكيف أن الخالق

---

[127] **الكلمات**، ص 719.
[128] **اللمعات**، ص 483.
[129] **الكلمات**، ص 110
[130] **المثنوي العربي النوري**، ص 270.

مبدع الكون جعل الإنسان أشرف المخلوقات، فهو خلاصة الكون وزبدة العالم، والمركز الذي ينظر إليه من كل الأطراف.

فما دام الأمر هكذا فعلى الإنسان أن يختار من حياته السبيل التي تحقق له مرضاة ربه الذي أولاه هذه النعم العظيمة فقد "أولى سبحانه وتعالى الإنسان أهمية عظيمة تحيّر العقول"[131]"وجعله مدارا لشؤون ربوبيته الجليلة"[132] لأن الإنسان هو أفضل من يقوم بوظيفة العبودية والمعرفة الإلهية، التي هي غاية غايات الخلقة.

ونوع الإنسان الذي يمتاز من بين ذوي المشاعر بالإدراك الشمولي حري أن يكون واسطة العقد في عالم المصنوعات "بسر توقف حصول غايات الكائنات، وتوقف ظهور المقاصد الإلهية منها، وتوقف تقرر قيمتها ووظائفها وتوقف تبارز حسنها وكمالاتها ، وتوقف حكمها وحقائقها على سر الرسالة البشرية"[133]

ونتيجة لما سبق، فقد تبين لنا أن الإنسان في منظور رسائل النور كائن مهم تتحق به غاية خلق الكائنات، وإلا فإنها ستكون خاوية لا روح لها، وخالية لا معنى لوجودها إن لم يكن الإنسان، لأن وجودها يتحقق بوجود هذا المخلوق البديع الذي صار مظهرا لعناية الله الأزلية، حيث يلفت بديع الزمان الأنظار إلى هذه الحقيقة بقوله: "جعل الحي القيوم سبحانه الإنسان مركزا للكون، ومحورا له، بل سخر الكون فمدّ أمامه سفرة عظيمة عظم الكون لتتلذذ أنواع معداته المادية والمعنوية"[134] لأن كل شيء في الوجود متوجه إلى هذا الإنسان المركز، ولكل كائن نسبة وعلاقة به، والإنسان ليس كائن مادي له معدة مادية فحسب بل له معدات معنوية كثيرة ومنها العقل والقلب والوجدان والروح واللطائف المعنوية، لكل منها أذواق ومطالب.

---

131 **الشعاعات**، ص 74.

132 **المصدر نفسه**، ص 74.

133 بديع الزمان، سعيد النورسي، **ذو الفقار** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار سوزلر ص 494.

134 **اللمعات**، ص 540.

وبخاصة القلب فإنه أهم تلك الأجهزة لأنه أسطع مرآة لتجليات الله سبحانه إذ إن "البشر ثمر لهذه الكائنات فهو المقصود الأظهر لخالق الموجودات والقلب كالنواة فهو المرآة الأنور لصانع المخلوقات"[135] ويضيف بديع الزمان في موضع آخر حديثا عن خصائص القلب الذي هو لب الإنسان فيقول في إحدى رسائله شارحا موقع هذه اللطيفة الربانية: "إن قلب الإنسان كذلك هو محور لما في الكون من حقائق لا تحد ومظهر لها، بل هو نواتها"[136]

وبناءً على ما بيناه سابقا، فإنه يفهم أن بديع الزمان ينظر إلى الإنسان بصفته المقصود والمنتخب بين الموجودات، وأنه العلة الغائية من خلق المصنوعات، إذ بوجوده في هذا العالم يكتمل المعنى وتتحقق الحكمة من وجود الكائنات.

3.2.1: النواة الأصلية

هذا المبحث دقيق وعميق جدا لأنه يتعلق بالحقيقة المحمدية والنور المحمدي، فهو صلى الله عليه وسلم نور كما وصفه القرآن، قال تعالى ﴿قَد جَاءَكُم مِن اللهِ نورٌ وكِتابٌ مُبين﴾[137]وقد ورد في حديث جابر رضي الله عنه ((أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبيك))[138] إلا أن هذه المعاني الدقيقة تتوارى عن ذوي الحس الكثيف ولا يدركها إلا من أنار الله بصيرته ، ألم يقل البوصيري رحمه الله في قصيدة البردة:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلو عنه بالحلم[139]

---

[135] **المصدر نفسه**، ص 437.
[136] **المكتوبات**، ص 564
[137] المائدة : 15.
[138] رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله ،وسكت عنه العجلوني : كشف الخفاء 827- 302/1.
[139] البوصيري، شرف الدين أبي عبد الله محمد، **بردة المديح**، القاهرة: دار القرآن ص 8.

وأكثر من تناول الحديث عن الحقيقة المحمدية هم علماء التصوف، ولا نكاد نجد من يأخذ بها من أهل الظاهر السطحيين، فعند الصوفية تعني الحقيقة المحمدية بأن الوجود النبوي سابق على كل المخلوقات، ومتقدم على كل المصنوعات، والكون استمد نوره ووجوده منه [140]كما عبر عن ذلك ابن عربي " بدأ الخلق هباء، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية"[141] وورد في كتاب سر الأسرار لعبدالقادر الجيلاني ما يؤكد هذا المعنى، فيقول: " أول ماخلق الله بروحي، وأول ماخلق الله العلم، وأول ما خلق الله العقل، فالمراد منها شيء واحد وهو الحقيقة المحمدية صلى الله تعالى عليه وسلم، ولكن سمي نورا لكونه صافيا عن الظلمات الجلالية، وعقلا لكونه مدرك الكليات، وقلما لكونه سببا لنقل العلم"[142] ونجد في بيانات العارفين ما يبين أن كل المخلوقات خلقت من نور محمد صلى الله عل وسلم، كما ورد في كتاب علم القلوب لأبي طالب المكي "خلق الله الجنة بما فيها من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلما اشتاقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان شوقها إلى المعدن والأصل، وصار شوق المشتاقين إلى الجنة شوقهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنها من نوره خلقت"[143]

كما هو ملاحظ في عصرنا، فإن كثيرا من الناس يصدق بنظرية الانفجار العظيم، وهي نظرية فيزيائية تفترض أن العالم نشأ من ذرة متناهية في الصغر، وما زال يتوسع حتى أخذ شكل العالم الذي نعيش فيه اليوم، وإن المرء ليعجب كيف يؤمن إنسان اليوم بهذه المقولة العلمية ويستبعد ما استنتجه العارفين مستندين إلى بعض الروايات من أن منشأ العوالم هو الماهية الإنسانية الكاملة المتمثلة في الحقيقة المحمدية والنور المحمدي.

---

[140] انظر: زكي مبارك، **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**، بيروت: دار الجيل، ص 201.

[141] ابن عربي، محيي الدين، **الفتوحات المكية**، ج9 بيروت: دار صادر، ج1 ص 188.

[142] الجيلاني، عبدالقادر، **سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار**، مصر: دار الكتب العلمية، ص 7.

[143] أبوطالب المكي، **علم القلوب** (تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا) مصر: دار الكتب العلمية ص30.

ولإزالة هذا الاستبعاد يبين بديع الزمان هذا السر العميق بمثال من عالمنا يقربه للأذهان إذ يقول: "لا تستبعد خلق هذه الكائنات البديعة العظيمة من ماهية جزئية لإنسان، فإن القدير ذا الجلال الذي يخلق شجرة الصنوبر الضخمة، وكأنها عالم بذاته، من نواة صغيرة لها، كيف لا يخلق أو يعجز عن خلق الكائنات من نور محمد"[144] صلى الله عليه وسلمـ وكما يفهم من هذه العبارات فإن بديع الزمان يعتقد أن الكائنات قد خلقها الله من نور محمد صلى الله عليه وسلم، ويؤكد نفس المعنى في سياق آخر فيقول بأن: " الإنسان هو خاتمة ثمرات شجرة الكون وأجمع ما فيها من الصفات، وهو بذرتها الأصلية من حيث الحقيقة المحمدية"[145]

وعلى الرغم من كون هذا المعنى عميق كما ذكرنا آنفا يستخدم بديع الزمان مثال الثمرة والشجرة ليثبت هذه الحقيقة عن طريق القياس التمثيلي لتقريبها للعقول، فهو يرى أن من مقتضى الحكمة أن تكون شجرة الكون ناشئة من بذرة، بحيث تكون هذه البذرة مشتملة على نماذج وأسس لسائر العوالم، بما فيها العالم الجسماني الذي يحيط بنا في عالم الشهادة، لأن النواة الأصلية للكائنات المتضمنة لآلاف العوالم يجب أن لا تكون مادة جامدة ويذكر في هذا السياق بأن "النواة لاتكون مجردة عارية دائما، إذ مادامت لم تلبس لباس الثمرة في أول الفطرة، فستلبسها في الأخير، وما دام الإنسان هو تلك الثمرة، وأن أفضل ثمرات نوع البشر وأنورها وأحسنها وأعظمها وأشرفها وألطفها وأجملها وأنفعها هو محمد صلى الله عليه وسلم، كما أثبت سابقا، الذي جلب نظر عموم المخلوقات بفضائله، وحصر نظر نصف الأرض وخمس البشرية في ذاته المباركة، واستقطب أنظار العالمين إلى محاسنه المعنوية بالمحبة والتبجيل والإعجاب، فلا بد أ ن النور الذي هو نواة تشكُّل الكائنات سيتجسد في ذاته وسيظهر بصورة ثمرة الختام"[146]

---

[144] **الكلمات**، ص 680

[145] بديع الزمان، سعيد النورسي، **عصا موسى** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار سوزلر ص 44

[146] **الكلمات**، ص680

إننا نجد حديثا مستفيضا عن النور المحمدي في كتب الأوائل من علماء الإسلام، إلا أننا نعيش في عصر مادي يصعب على أهله استيعاب تلك الحقائق الرفيعة بسبب توغل الناس في هذا الزمان في أوحال الفكر المادي، وهنا تكمن أهمية الرؤى التي يقدمها بديع الزمان في كونها تخاطب إنسان اليوم بلغة يفهمها وبتصويرات تزيل من الأذهان استبعاد الحقائق الإسلامية المبرهنة بالحجة والدليل، ونظراته حول مسألة النور المحمدي تبعث الاطمئنان في القلب وهي تقنع العقل وتزيل عنه كل الشبه التي تراودة، لنرى مثلا قوله في إثبات الحقيقة التي نحن بصدد مناقشتها فقد ورد في رسائل النور "إن الإنسان ثمرة شجرة الخلقة، والثمرة تكون أكمل الأجزاء وأبعدها عن الجرثوم، وأجمعها لخصائص الكل، وهي التي من شأنها أن تبقى وتستبقى، ومن الإنسان من هو نواة أنبت القدير جل شأنه منها تلك الشجرة، ثم صير الفاطر جل جلاله ذللك الإنسان ثمرة تلك الشجرة، ثم جعل الرحمن تلك الثمرة النورانية نواة لشجرة الإسلامية، وسراجا لعالمها وشمسا لمنظومتها، وإنه لابد في الثمرة من نواة تشتمل بالقوة على لوازمات شجرة هي مثل أصلها، وأصغرية النواة لا تنافي أعظمية الشجرة كنواة شجرة التينة"[147]

وكما يلاحظ فقد ضرب مثالا من نواة التينة التي هي منشأ لشجرة عظيمة، فما دام الأمر هكذا في الأشجار المادية فإن قدرة الله النافذة في كل شيء، لا يصعب عليها شيء، وحكمته اقتضت أن يصنع شجرة هذا العالم من نواة أصلية هي النور المحمدي، لأن النور المحمدي معكس لجميع تجليات الأسماء الإلهية جميعها، وللمراتب العليا لكل اسم منها، فلا غرابة أن تكون منشأ للكون.

وقد كان بعض العارفين يقول في دعائة مثنيا على الرسول صلى الله عليه وسلم واصفا إياه "بالسر الساري في جميع أثار الأسماء والصفات"[148]ويعني بذلك حسب فهمنا أن النور المحمدي لما كان منشأ

---

147 **المثنوي العربي النوري**، ص223.

148 الجزولي، أبو عبد الله محمد بن سليمان، **دلائل الخيرات وشوارق الأنوار**، بيروت: المكتبة العصرية ص10

الكون حظي كل مصنوع بتجليات مخصوصة لتلك الأسماء لعلاقته بذلك النور.

ولا يملك القارئ بعد تأمل كلمات بديع الزمان حول ماهية الإنسان التي يؤكد فيها بأنه ثمرة لشجرة العالم والنواة الأصلية إلا أن يشكر الله أن جعله إنسان يحظى بهذه المظهرية للأفضال الإلهية.

ونختم حديثنا في هذا المبحث بعبارت لبديع الزمان حول النور المحمدي راجين من المولى أن يمنّ علينا ببصيرة نفاذه تستوعب هذه الحقائق، حيث يقول: "إن كون الإنسان ثمرة شجرة الخلقة يدل على أن من الإنسان من هو نواة أنبت منها الصانع شجرة الخلقة، وما تلك النواة إلا من اتفق كل الكمل بل نصف البشر، على أنه أفضل الخلق بالتمام بسر انصباغ العالم بصبغته المعنوية، وهو نور سيد الأنام الفاتح الخاتم عليه الصلاة السلام"[149].

[149] **المثنوي العربي النوري**، ص301.

3.1. الإنسان مخلوق في أحسن تقويم

في هذا المبحث الثالث ضمن مباحث ماهية الإنسان نتناول قضية خلق الإنسان في أحسن تقويم، فكما نصت الآية الكريمة في سورة التين فإن الإنسان مخلوق في أحسن تقويم، قال تعالى : ﴿لَقَد خَلَقْنا الإنْسَانَ في أحْسَنِ تقويم﴾[150] فما معنى هذه الآية وما حقيقتها ؟ لعلماء التفسير في بيان معنى هذه الآية أقوال عديدة، وأغلب التفاسير على أن الإنسان خلق في حسن التقويم من حيث الشكل والصورة، كما ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية "المراد بالإنسان آدم وذريته، في أحسن تقويم وهو اعتداله واستواء شبابه، كذا قال عامة المفسرين، وهو أحسن مايكون، لأنه خلق كل شيء منكبا على وجهه وخلقه مستويا، وله لسان ذلِق ويد وأصابع يقبض بها"[151] وعلى هذا النحو فسر الزمخشري الآية حيث قال:" في أحسن تعديل لشكه وصورته وتسوية الأعضاء"[152] وقد نقل أبو حيان أقوالاً للمفسرين إذ يقول في كتابه البحر المحيط: "في أحسن تقويم قال النخعي ومجاهد وقتادة: حُسن صورته وحواسه، وقيل:انتصاب قامته، وقال أبوبكر بن طاهر: عقله وإدراكه زيّناه بالتمييز، وقال عكرمة: شبابه وقوته، والأولى للعموم في كل ماهو حسن"[153] وكذلك الرازي فقد ذكر رأيين للمفسرين في معنى أحسن تقويم وهو حسن الصورة والسيرة إذ يقول: " ذكروا في شرح ذلك الحسن وجوها أحدها: أنه تعالى خلق كل ذي روح مكبا على وجهه إلا الإنسان فإنه تعالى خلقه مديد القامة تناول مأكوله بيده، وقال الأصم: في أكمل عقل وفهم وأدب وعلم وبيان، والحاصل أن القول الأول راجع إلى الصورة الظاهرة والثاني إلى السيرة الباطنة"[154] وكلها تفسيرات

---

[150] التين: 4.

[151] **الجامع لأحكام القرآن**، ج 20 ص144.

[152] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 4بيروت: دار الكتاب العربي ج4 ص774

[153] أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير** (تحقيق: صدقي محمد جميل) ج 11 بيروت: دار الفكر ج10 ص 503

[154] الرازي، أبوعبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، **مفاتح الغيب أو التفسير الكبير**، ج 32 بيروت: دار إحياء التراث العربي ج32 ص212.

قيمة يمكن الرجوع إليها في مظانها من كتبهم، والذي يعنينا في هذا المبحث وه ذكر رؤى بديع الزمان في بيان هذه المسألة ، وقد قسمنا البحث في هذا الموضوع إلى ثلاث مطالب، وكلها تسلط الضوء على قضية خلق الإنسان في أحسن تقويم من زاوية معينة.

الأولى: من حيث الجسم

والثانية: عن جهة الحياة.

والثالثة: باعتبار الشعور

والمطلع على مؤلفات بديع الزمان يجد أنه قد أولى هذا المبحث أهمية قصوى، و وتطرق إلى تفصيلاته في العديد من رسائله، ولا سيما الكلمة الثالثة والعشرون التي صدّرها بهذه الآية من سور التين، لنأخذ على سبيل المثال قوله: "إن الإنسان نظرا لكونه مخلوقا في أحسن تقويم، وموهوبا بأتم استعداد جامع، فإنه يتمكن من أن يدخل ميدان الامتحان هذا، الذي ابتلي به ضمن مقامات ومراتب ودرجات ودركات مصفوفة ابتداءا من سجِّين أسفل سافلين، إلى رياض أعلى عليين، فيسمو أو يتردى، ويرقى أو يهوى ضمن درجات من الثرى إلى العرش الأعلى، ومن الذرة إلى المجرة."[155]

ونستنتج من عبارات بديع الزمان هذه أن الإنسان في أصل فطرته التي فطره الله عليها، مخلوق ذو قيمة عالية، لكن لما وهب من جزء اختياري فإنه تقع عليه مهمة المحافظة على قيمة نفسه، وأن يرقى بها إلى مقامات لانهاية لها من الرفعة، لا يطمح أن يرقى إليها مخلوق غيره لأنه "في عالم الإنسان تمتد المسافة بين مراتب الرقي ودركات التدني إلى أبعاد مديدة طويلة جدا"[156]

إذاً، فتفسير معنى خلق الإنسان في أحسن تقويم، ينبغي أن لا يقتصر فيه على النظر إلى صورة الإنسان الظاهرية وقوامه المعتدل، بل يجب الأخذ

---

[155] **الكلمات**، ص 359

[156] **المكتوب**، ص 54.

بعين الاعتبار سياق الآية وسباقها لتتضح الصورة الكاملة، وهذا ما فعله بديع الزمان، إذ نظر إلى معناها من ناحية وظيفة الإنسان، والغاية التي خلق من أجلها، وقد قال مخاطبا الإنسان: " أيها الإنسان إنك من جهة جسمك النباتي، ونفسك الحيوانية جزء صغير، وجزئي حقير، ومخلوق فقير، وحيوان ضعيف تخوض في الأمواج الهادرة لهذه الموجودت المتزاحمة المدهشة، إلا أنك من حيث إنسانيتك المتكاملة بالتربية الإسلامية، المنورة بنور الإيمان المتضمن لضياء المحبة الإلهية، سلطان في هذه العبدية، وإنك كلي في جزئيتك، وإنك عالم واسع في صغرك"[157].

1.3.1: الجسم

إن جسم الإنسان آية تكوينية عظيمة أبدعها الخالق سبحانه وجعلها مجلى لكثير من أسمائه الحسنى، يقول الله تعالى: ﴿الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدلَك، في أيِّ صُورَةٍ ما شاءَ ركَّبك﴾[158] وكما تشير هذه الآية فإن الإنسان من حيث صورته هو في أكمل هيئة وأحسن شكل، وهذا أيضا من معاني كون الإنسان مخلوقا في أحسن تقويم.

وعند تتبع بيانات بديع الزمان في رسائله نجد أنه تناول الحديث عن جسم الإنسان في معرض مناقشته لمبحث الجسمانية وإثبات الحشر الجسماني، وأيضا في حديثه عن تجليات أسماء الله الحسنى على الإنسان منذ اللحظة الأولى لظهوره إلى عالم الوجود، فعلى سبيل المثال يقول: " ألا ترى أن أعضاء الإنسان جميعا سواءا العظام منها أو العروق وحتى خلاياه الجسمية، وكل جزء منه ومكان، قد روعيت فيه فوائد وحكم شتى، بل إن في أعضاء جسمه من الفوائد والأسرار، بقدر ما تنتجه الشجرة الواحدة من الثمار."[159]

---

157 **الكلمات**، ص 371.
158 الإنفطار : 7.
159 **الكلمات**، ص 69.

وبفضل الله فإن تقدم العلوم في عصرنا الحديث أطلعنا على نواحي كثيرة حول بدائع صنع الله في جسم الإنسان، وأعضائه الظاهرة والباطنة، تستنطق اللسان والجنان بقول ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين﴾[160]وصار الإنسان بفضل تلك المعطيات العلمية قادرا على رؤية معجزات الله الباهرة في تكوين جسمه، ووظائف أعضائه، بل صارت هناك في الجامعات والكليات الطبية مراكز أبحاث يختص كل منها بجانب معين من تركيب جسد الإنسان، كأقسام الدماغ والقلب والعظام وغيرها، وقد تحقق وعد الله سبحانه الذي وعد به في الآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِم آياتِنَا في الآفاقِ وفي أَنْفُسِهم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهم أنَّه الحَقّ﴾.[161]

وقد تبينت حقانية القرآن الكريم في مسائل كثيرة من خلق الإنسان، ولاسيما فيما يتعلق بأطوار خلق الإنسان التي أشارت إليها آيات كثيرة في أكثر من سورة، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقنا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَونِا العِظَامَ لحمًا ثُم أَنْشَأنَاهُ خَلقًا آخَر﴾ [162]ويشير بديع الزمان إلى معنى هذه الآيات حيث يبين "إن الإنسان كلما انتقل من طورإلى طور مرّ بانقلابات منتظمة عجيبة، فمن النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى العظم، ثم اللحم، ومن ثم إلى خلق جديد، أي إن انقلابه إلى صورة إنسان يتبع دساتير دقيقة فكل طور منها له من القوانين الخاصة، والأنظمة المعينة والحركات المطردة، بحيث يشف عما تحته من أنوار القصد والإرادة والاختيار والحكمة"[163]

وبناءً على هذه البيانات، فإن جسم الإنسان ينال تلك الأهمية لدلالته على صفات صانعه، وكل عضو من أعضاء جسم الإنسان هو بحد ذاته آية تكوينية خارقة.

والآيات القرآنية كما أنها تحث المسلمين على الاعتبار والتفكر في آفاق الكون فإنها تدعو الإنسان إلى التأمل في أعماق النفس لاستجلاء خباياها،

---

[160] المؤمنون : 14
[161] فصلت: 53
[162] المؤمنون: 14
[163] **الكلمات**، ص 608

ولتملي بدائع صنع الله فيها، مثل قوله تعالى: ﴿وفِي أَنْفُسِكُم أفَلاَ تبُصِرون﴾[164] لأن النظر في النفس هو أقرب طريق إلى معرفة الصانع وأسمائه الحسنى، وعملا بهذا التوجيه القرآني يبين بديع الزمان بعض المعطيات العلمية حول تكوين جسم الإنسان فيقول: "العالم الأصغر وهو الإنسان، فإن فن منافع الأعضاء قد شرح وأثبت أن في جسم الإنسان تقريبا ستمائة عظم كل لمنفعة، وستة آلاف عصب هي مجار للدم كل لفائدة، ومائة وأربعة وعشرين ألف مسامة وكوة للحجيرات التي تعمل في كل منها خمس قوى من الجاذبة، والدافعة، والممسكة، والمصورة والمولدة كل منها لمصلحة"[165]

وخلافا لبعض الفلسفات التي تحط من قيمة الجسم، وترى أنه شيء سفلي لا قيمة له، وأنه لا خلاص للروح إلا بالتحرر منه،[166] نجد بديع الزمان يحتفي بقيمتة الجسمانية لأنها مظهر لتجليات الأسماء الإلهية ووسيلة لمعرفتها وتذوقها، فيقول: "إن أكثر الأسماء الإلهية تتجلى في الجسمانية، فهي أغنى مركز لتلك المقاصد وأكثرها فعالية، وإن أكثر أنواع الإحسانات الربانية المختلفة وآلائها العميمة تتبين في الجسمانية"[167]

ندرك من هذا أن الجسمانية ميزة الإنسان التي يتميز بها على كثير من المخلوقات، وحتى الملائكة، لأن بعض الأسماء الإلهية تظهر مقتضياتها على الجسمانية، ولما كانت الملائكة مخلوقات لطيفة نورانية مجردة عن الجسم فإنها لا تبلغ إدراك تلك الأسماء، فكما يقول بديع الزمان: " إن الإنسان يمكنه أن يدرك جميع الأسماء الإلهية ويتذوقها بما أودع فيه من مزايا جامعة، فهو يدرك مثلا كثيرا من معاني تلك الأسماء بما يتذوق من لذائذ الأرزاق المنهمرة عليه، بينما لا يبلغ الملائكةإلى إدراك تلك الأسماء بتلك الأذواق الرزقية"[168]

---

[164] الذاريات: 21.

[165] **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص 59.

[166] انظر هذه الفلسفات في بلاد الهند وغيرها: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر، **الملل والنحل**، ج 3 سوريا: مؤسسة الحلبي ج1ص108.

[167] **الشعاعات**، ص 270.

[168] **اللمعات**، ص 540

وحتى لا يطول بنا الحديث في هذه النقطة، نستعرض أربع نواح في الخلقة البديعة لجسم الإنسان، مع بيان إضاءات بديع الزمان حولها:

أولا: أعضاء الإنسان.

وهي مخلوقة في أتم انتظام وأكمل انسجام، وتشهد على كمال صانعها وحكمته ووحدانية، يضيء بديع الزمان لنا هذه الناحية بقوله: " تأمل فيما يحويه جسمك وأعضاؤك أيها الإنسان من حدود متعرجة والتواءات دقيقة، تأمل فوائدها ونتائج خدماتها وشاهد كمال القدرة في كمال الحكمة."[169]

ثانيا: وجه الإنسان.

وهو عنوان الإنسان ومجمع محاسنه الخلقية وعنه يقول بديع الزمان: "انظر ودقق النظر في وجه الإنسان ترى علامات فارقة قد احتشدت في هذا الوجه الصغير، بحيث تميز هذه العلامات صاحبها عن جميع الوجوه الأخرى المتتابعة منذ زمن آدم عليه السلام حتى اليوم، وإلى الأبد، رغم التشابه والاتفاق في الماهية الإنسانية والكينونة البشرية"[170].

ثالثا: عين الإنسان

وهي مرآة روحه التي تطل منها على عالم المبصرات، ويبين بديع الزمان جمال الصنعة الربانية فيها، وتميزها عن بقية ذوي الحياة بقوله: " أين عين الإنسان التي تميز جميع مراتب الحسن والجمال، أين كل هذه الأجهزة وأمثالها مما في الآلات الحيوانية البسيطة التي قد لا تنكشف إلا إلى حد مرتبتين أو ثلاث"[171].

رابعا: لسان الإنسان

وهو ترجمان الروح ووسيلة الإنسان للتعبير عن مكنونات وجدانه، ودقائق أفكاره، ينظر بديع الزمان إلى هذا الجهاز الإنساني على أنه مركز لإنتاج الكثير من الثمرات فيقول: "اللسان جهاز واحد من مائة جهاز من أجهزة الإنسان، الذي هو واحد لا يحد من الأحياء، هذا اللسان عبارة عن

---

169 **الكلمات**، ص 779.

170 **اللمعات**، ص 262.

171 **الكلمات**، ص 367

قطعة لحم ليس إلا، ولكنه يكون وسيلة لمئات من الحكمـ والنتائج والثمرات، والفوائد."[172]
فالجسم إذن ملمح ذو قيمة عالية من تكوين الإنسان، جدير بالعناية والنظر.

2.3.1: الحياة

الحياة سر عجيب من أسرار الخلق، حاول الفلاسفة منذ أقدم العصور أن يتعرفوا على كنهها و ماهيتها، فلم يصلوا إلى شيء يشفى الغليل ويبلّ الصدى، ولم يفك العلم الحديث كذلك تلك الشفرة و لم يتبين حقيقة ذلك اللغز رغم استكشافه لكثير من غوامض الكون.

إن أهم خصائص الإنسان هو أنه مخلوق ذو حياة، وبفضلها أصبح يتحرك وينمو ويحس ويفكر، والإنسان كذلك ينطوي على روح عظيمة، ولتشريفها نسبها الله تعالى إلى ذاته العلية، حيث أمر الله تعالى ملائكته الكرام أن يسجدوا لمخلوقه المكرم آدم، لما اختصه به من هذه اللطيفة الربانية، فقال عز وجل: ﴿فَإِذا سَوَيتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا له سَاجِدِين﴾[173]

ولا شك أن الروح هي جوهر الإنسان ولبه، والجسم المادي غلاف وكيان قائم بها، وبتعبير بديع الزمان "لقد ثبت بالتجربة أن المادة ليست أساسا وأصلا ليبقى الوجود مسخرا من أجلها تابعا لها، بل هي قائمة بمعنى وهذا المعنى هو الحياة، هو الروح، وترينا المشاهدة والملاحظة كذلك أن المادة لا تكون مطاعة حتى يرجع إليها كل شيءـ، وإنما هي وسيلة مطيعة خادمة لإكمال حقيقة معينة، هذه الحقيقة هي الحياة وأساسها هو الروح"[174]

وقضية الروح من الأمور التي أشغلت الفكر الإنساني ، فقد تساءل كثيرا عن ماهية الروح ومخلوقيتها،وفي الروح يذكر الغزالي "أنها اللطيفة العالمة المدركة التي هي حقيقة الإنسان، وهي المخاطب، والمعاقب

---

[172] **الشعاعات**، ص 647.
[173] الحجر: 29
[174] **الكلمات**، ص 590

والمطالب، ولها علاقة مع القلب، وهي أمر عجيب تعجز أكثر العقول والأفهام عن إدراك حقيقته"[175] والذي عليه جمهور المتكلمين من علماء الإسلام هو أن الروح مخلوقة كسائر المخلوقات، لكن علم حقيقة ماهيتها هو من اختصاص الله تعالى مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن الرُّوح قُلِ الرُوح مِن أَمرِ ارَبِّي وما أوتِيتُم مِن العِلمِ إلا قَلِيلًا﴾[176]وبديع الزمان يعرف الروح ببعض خصائصها فهي عنده "قانون أمري ألبس الوجود الخارجي بالأوامر التكوينية التي هي تجل الإرادة الإلهية."[177]

أما عن علاقة الروح بالجسد فالأمر بينهما اتصال وافتراق، وكل منهما مستقل عن الآخر، ويفصل بديع الزمان القول في هذه الإشكالية ببيانه أن "الجسد عش الروح ومسكنها، وليس بردائها وإنما رداء الروح غلاف لطيف وبدن مثالي ثابت إلى حدّ ما ومتناسب بلطافته معها"[178] فإذاً الجسد الظاهر لأعيننا هو مجرد عش بسيط لطائر الروح يحط فيه ثم يرحل عنها إذا حان وقت الرحيل.

وتقوم الروح بمهمة ربط أواصر الجسد، وإيجاد نوع من الوحدة بين الأجهزة الإنسانية لتؤدي دورها بأحسن صورة، وبعبارة بديع الزمان "إن روح الإنسان ترتبط بعلاقات وأواصر مع جميع أنحاء جسم الإنسان، حتى تجعل جميع أعضائه وجميع أجزائه في تعاون تام فيما بينها."[179]

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن رسائل النور تؤكد في غير ما موضع حقيقة فحواها أن الوجود يكتمل بالحياة، وأن الحياة هي نور الوجود، والوجود الحقيقي يتحقق بالحياة، إذ إن الحياة هي أساس كل شيء، ويسلط بديع الزمان الضوء على هذه المعاني بكلماته التالية فيقول: " كما أن الضوء سبب لرؤية الأجسام، وسبب لظهور الألوان على قول، كذلك الحياة هي كشافة للموجودات، وسبب لظهورها، وسبب لتحقق

---

[175] الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبو حامد، **إحياء علوم الدين**، ج 4 بيروت: دار امعرفة، ص3/2.

[176] الإسراء : 85.

[177] **الكلمات**، ص 812

[178] **المصدر نفسه**، ص 600.

[179] **المصدر نفسه**، ص 812

النوعيات"[180] ويذكر في السياق نفسه مثالا يقرب المعنى ويوضح الصورة، فيقول: "انظر إلى الجسم الجامد، وإن كان جبلا شاهقا، فهو غريب، يتيم، وحيد، إذ تنحصر صلته وعلاقته بمكانه، وما يتصل به من أشياء فقط، وما يوجد في الكائنات الأخرى معدوم بالنسبة إليه، وذلك لأنه ليس له حياة حتى يتصل بها، ولا شعور حتى يتعلق بها، ثم انظر إلى جسم صغير حي كالنحل مثلا، ففي الوقت الذي تدخل فيه الحياة، فإنه يقيم عقدا تجاريا وصلة مع جميع الكائنات والموجودات، وخاصة مع نباتات الأرض وأزهارها بحيث يمكنه القول: إن جميع الأرض هي حديقتي ومتجري."[181]

كما لاحظنا في المثال الآنف الذكر، فإن كان أثر الحياة في حشرة صغيرة يتجلى بهذه الروعة فما بالنا من تجليها وأثرها على مخلوق في غاية الإبداع كالإنسان، لا شك أن أثر الحياة فيه يتبارز بشكل كبير جدا ولا سيما أن الحياة في الإنسان يصحبها شعور كلي، يجعله على علاقة مع كل شيء من مصنوعات الله، يقرر بديع الزمان هذا المعنى بقوله: "ولإن كانت الحياة يظهر تأثيرها هكذا في كائن حي صغير، فلا بد أنها كلما علت وارتقت إلى مرتبة عليا وهي المرتبة الإنسانية فإن تأثيرها يتسع ويكبر ويتنوّر"[182]

وقد سرد بديع الزمان في إحدى رسائله حول اسم الله الأعظم الحي خصائص الحياة و بين شرفها، وذكر عشرين خاصية من خصائص الحياة، و منها أن "الحياة لهذه الكائنات هي أهم غاية، وأعظم نتيجة، وأسطع نور، وألطف خميرة، وأصفى خلاصة، وأكمل ثمرة، وأسمى كمال، وأزهى جمال، وأبهى زينة، وهي سر وحدتها، ورابطة اتحادها، ومنشأ كمالاتها."[183]

---

[180] **المصدر نفسه**، ص 586

[181] **المصدر نفسه**، ص 586.

[182] **المصدر نفسه**، ص 587

[183] **اللمعات**، ص507

وقد تجلى لنا مما سبق مكانة الحياة في هذا الوجود وأهميتها، وأن الوجود بدونها لا يختلف عن العدم، وكيف أن الإنسان بما يملك من حياة وروح صار عالما كبيرا رغم صغره وضآلته الظاهرية.

وعلى هذا، فإن البعد الروحاني للإنسان هو الأساس فيه، إذ يجعل الإنسان بحياته ذا ارتباط وثيق مع باقي مشتملات الكون، وبتعبير بديع الزمان "يعني أنه مثلما يسافر ذلك الكائن الحي ذو الشعور إلى تلك العوالم معنويا، فإن تلك العوالم تأتي وتكون ضيوفا على مرآة روحه بارتسامها وتمثلها فيه."[184]

3.3.1: الشعور

العقل من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، ووسيلة الشعور و مناط التكليف،وكما ذكر المحاسبي فقد "استخص الله آدم وذريته فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول الرضية والألباب والفهم"[185] ، والعقل كذلك بُعد مهم من أبعاد ماهية الإنسان التي صار بها أشرف المخلوقات، وأسمى ذوي الحياة، لأن "النفس الإنسانية تمتاز عن سائر النفوس والموجودات الأخرى بتلك القوة المدهشة العجيبة، ألا وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء"[186] ولولا العقل لما كان للإنسان قيمة تذكر، كما يقول الشاعر:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان[187]

ويحسن التذكير هنا بأن المطلع على رسائل النور يدرك أن بديع الزمان أشاد كثيرا بخاصية الشعور لدى الإنسان، فعلى سبيل المثال يشير بديع الزمان إلى وسعة الإستعداد وكلية الماهية التي نالها الإنسان ببركة العقل

---

184 **الكلمات**، ص 587.

185 المحاسبي، الحارث بن أسد أبو عبدالله، **فهم القرآن ومعانيه** (تحقيق: حسين القوتلي)، بيروت: دار الكندي – دار الفكر، ص246.

186 البوطي، محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق**، بيروت: دار الفكر، ص266.

187 المتنبي، أبي الطيب، **ديوان المتنبي**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ص 414.

المدرك، تلك اللطيفة الربانية التي أتحف الله بها الإنسان، يقول في ذلك: "إن شخص الإنسان كنوع غيره، إذ نور الفكر أعطى لآمال البشر وروحه وسعة وانبساطا بدرجة وسعت الأزمنة الثلاثة، لو ابتلع الماضي والمستقبل مع الحال لم تمتلئ آماله، لأن نور الفكر صير ماهيته علوية، وقيمته عمومية، ونظره كليا، وكماله غير محصور"[188] إذاً فإن نور الفكر في الإنسان يمنحه آفاقا واسعة، وخاصية الوعي والإدراك أهلت الإنسان ليرقى إلى مقام أحسن تقويم، ويكون مخاطب رب العالمين.

ولا يخفى على المنصف أن الإسلام أشاد بمنحة العقل، ودعا القرآن الكريم في كثير من سوره إلى التعقل والتبصر والتفكر، بل إن أول كلمة نزلت من القرآن هي ﴿اقْرَأ﴾[189] ذلك أن القراءة والنظر هي أولى مفاتيح إعمال العقل وما يستتبعه من تحريك كافة اللطائف والقوى المودعة في الكيان الإنساني، يشير بديع الزمان إلى هذا المعنى بقوله: "إن السر في وفرة الأجهزة التي منحت للإنسان وغناها هو أن حواس الإنسان، ومشاعره قد اكتسبت قوة ونماء وانكشافا وانبساطا أكثر، لما يملك من الفكر والعقل، فقد تباين كثيرا مدى استقطاب حواسه، نظرا لتباين وكثرة احتياجاته، لذا تنوعت أحاسيسه وتعددت مشاعره."[190]

والحكمة من منح الله تعالى الإنسان هذه الملكة العقلية هي أن تكون مفتاحا يكشف به كنوز المعرفة الإلهية، وأن يترقى صعدا في مدارج القرب من الله، شرط ذلك أن يستخدم هذا العقل في مسلك التوحيد، وبسر الوحدانية، وأن يطالع الآيات التكوينية والتنزيلة التى تستنطق لسانه بالتهليل والتسبيح، يبين بديع الزمان هذه الحقيقة بقوله: "وأنشأ سبحانه هذا الإنسان في أحسن تقويم، واهبا له العقل، بحيث جعله يسجد سجدة إعجاب أمام معجزات صنعته، وبديع قوته، واستقرأه آيات كبريائه، حتى جعله عبدا ساجدا في ذلك المسجد الكبير."[191]

---

[188] **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص 69.

[189] العلق: 1

[190] **الكلمات**، ص 367

[191] **المكتوبات**، ص 286.

وإن المتأمل للتاريخ الثقافي الإسلامي يجد أن العقل أولي مكانة مميزة في إطار ما رسم له الوحي من مجال للحركة والفعل، مما دفع علماء المسلمين إلى إعمال عقولهم في كتاب الله المسطور (القرآن) وكتاب الله المنظور (الكون) فلم يحصل بسبب ذلك ما يشبه الازدواجية التي عانى منها الفكر الغربي- وما يزال- في المفاضلة بين العقل والنقل، لأن دعوة الإسلام كانت صريحة، وهي تحفز المؤمن للنظر في الكون واستجلاء قوانينه وسننه، يقول تعالى: ﴿أَفَلَم يَنْظُرو في مَلَكُوتَ السماواتِ والأَرْضِ ومَا خَلَق الله مِن شيء﴾.[192]

واستجابة لتلك الدعوة تبين رسائل النور في مواضع كثيرة قيمة العقل وأهميتة، حيث يقول بديع الزمان: " كما أن دماغ الإنسان الشبيه بمجمع مركزي للبث والاستقبال السلكي واللاسلكي، وهو بمثابة مركز معنوي لهذا الكون يستقبل ما في الكون من علوم وفنون، ويكشف عنها ويبثها أيضا."[193]

ويحسن أن نذكر تاليا اثنين من الأجهزة المتعلقة بالعقل، وبدون إسهاب سنذكر بيانات بديع الزمان حولها والتي ورد ذكرها في مواضع عدة من رسائل النور، وهي القوة الحافظة، وقابلية النطق.

أولا: القوة الحافظة

وهي مستودع أفكار الإنسان وسجل سيرته الذاتية، ومخزن لما تلقته الحواس من صور وأفكار، إضافة إلى كونه مكتبة وثائقية تجمع الأحداث دون اختلاط، يقول بديع الزمان: "إن خلق القوة الحافظة والخيالية والمفكرة وأمثالها من المكائن العجيبة في موضع صغير في دماغ الإنسان لا يتجاوز حجم جوزة واحدة، وجعل القوة الحافظة بمثابة مكتبة ضخمة، يبين أنه سبحانه وتعالى يظهر نفسه بتجليات العلم الأزلي بيانا واضحا كالشمس في رابعة النهار."[194]

---

192 الأعراف: 185

193 **المكتوبات**، ص 564

194 **الشعاعات**، ص 645.

ثانيا: قابلية النطق

وهي ملكة البيان التي ذكرها القرآن الكريم في أوائل سورة الرحمن ﴿الرَّحمن. عَلَّمَ القُرآن. خَلَقَ الإنْسان. عَلَّمَه البَيَان﴾ "[195] ويمكن للإنسان عن طريق هذه الملكة التعبير عن مكنونات نفسه والتواصل مع أبناء جنسه، كما يتجلى ذلك في آلاف اللغات التي يتحدث بها الناس، وكما يلفت شاه ولي الله الدهلوي إلى هذه الملكة إذ يقول عن نوع الإنسان "تجد فيه خواص يمتاز بها عن سائر الحيوان منها النطق وفهم الخطاب"[196] وتبين رسائل النور قيمة هذه الملكة حيث ورد في ذلك قول بديع الزمان: "منح الله تعالى الإنسان قابلية النطق والبيان حتى انكشف مافيه من أجهزة سامية معنوية عن مراتب كثيرة وكثيرة جدا أهلته لموضع خطاب السلطان الأزلي الجليل، مما نال رقيا ورفعة وسموا، أي إن الصبغة الربانية التي في فطرة الإنسان قد فتحت زهرة الخطاب الإلهي."[197]

وبناء على ما سبق، فلا شك أن العقل نعمة عظيمة أنعمها الله على الإنسان، وهو مستأمن عليها، حيث يستطيع باستخدامها كشف دقائق الحكمة الربانية في الكون، وتحقيق الغاية القصوى للوجود الإنساني، وهي معرفة الله، لأنه بتعبير بديع الزمان "إذا بيع العقل إلى الله، واستعمل في سبيله ولأجله، فإنه يكون مفتاحا رائعا بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الإلهية، وكنوز الحكمة الربانية."[198]

---

[195] الرحمن: 1 – 4.

[196] الدهلوي، الشاه ولي الله أحمد بن عبدالرحيم، **حجة الله البالغة** (تحقيق: السيد سابق)، ج 2 بيروت: دار الجيل ج1ص56

[197] **المكتوبات**، ص 287.

[198] **الكلمات**، ص 23.

الفصل الثاني

وظيفة الإنسان

2. تمهيد عن وظيفة الإنسان

إن الله تعالى أرسل الإنسان إلى هذا العالم وأخرجه من ظلمة العدم إلى ضياء الوجود ليقوم بمهمة سامية، فإذا أداها على وجهها الصحيح نال جزاء حسنا في كلا الحياتين، وإن أهملها يصير أهلا للعقوبة، لإن الإنسان لم يخلق عبثا فحكمة الله منزهة عن ذلك، يقول الله تعالى: ﴿أفَحَسِبتُم أنما خَلَقْنَاكُم عَبَثًا وأَنَّكُم إلينا لا تُرجَعون﴾[199]

كلا، بل خلقنا الله لنقوم بمهمة عظيمة ننال من خلالها شرف مرضاته سبحانه.

وجدير ذكره أنه بعد استقراء كليات رسائل النور تبين للباحث أنه يمكن إدراج ما بينه بديع الزمان حول وظيفة الإنسان ضمن ثلاث وظائف أساسية وهي كالدوائر المتداخلة تتناظر فيما بينها:

أولا: القيام بالعبودية الكلية

وهي أهم غاية لحياة الإنسان، فإن الله تعالى قد وهب الإنسان أجهزة وآلات عديدة كل واحدة منها لها وظيفة معينة متوجهة إلى عبودية الله، ذلك أن الإنسان مخلوق يتمتع بماهية واسعة، فهو مخلوق ذو حياة، ومتوفر على آلات نفيسة من روح وقلب وعقل ووجدان، وغيرها، ولكل منها وظيفة عبودية تمتاز بها، بالإضافة إلى كون الإنسان مخلوقًا ذا شعور، وبه يمكنه الاطلاع على عبادات باقي الموجودات فيستمع إلى تسبيحاتها، ويقرأ آيات الجمال والكمال المسطورة على صحائف الموجودات. ويحسن هنا ذكر لفتة مهمة لفريد الأنصاري عن وظيفة المسلم في رسائل النور إذ يقول: "إن المسلم عند النورسي لم يعد –باعتباره عبدالله- مجرد اسم علم

---

[199] المؤمنون: 115.

ينادى، أي (عبدالله) أو (عبدالرحمن) وإنما صاحب وظيفة مستنبطة من التفكر الخفي، والتدبر الملي، لطبيعة العلاقة بين المضاف والمضاف إليه في اسم (عبدالله) الذي هو اسم وظيفي –لا عَلَمِي- لكل مسلم حق"[200]

ثانيا: الإنسان خليفة في الأرض

وهو بهذه المهمة يتبوأ منزلة السيادة على باقي الموجودات، ويتسنى له بذلك التصرف فيها لما علمه الله سبحانه من الأسماء، التي بتعلمها نال شرف الخلافة في الأرض، كما بينته كثير من الآيات الكريمة ، ولكون الإنسان خليفة صارت كل الأحياء مسخرة له، وكل العناصر تتسابق لخدمته وكل الأجرام تحوم حول مصالحه.

ثالثا: الإنسان حامل للأمانة العظمى

تلك الأمانة التي أبت أن تحملها أجرام كبيرة تفوق الإنسان ضخامة، كالسماوات والأرض والجبال، ثم حملها الإنسان، والسبب من خشية تلك الأجرام من حملها هو أنها استهولت الوقوع في شرك متوهم، فآثرت أن تؤدي عبادتها وتسبيحاتها طائعة منقادة.

وسنتناول كل من النقاط المذكورة أعلاه في هذا المبحث بشيء من التفصيل مع ذكر رؤى بديع الزمان حولها في رسائله، لعله يتيسر لكل من وقع في الحيرة أن يعرف سر الوجود الإنساني على هذه الأرض، إذ إن سؤال (لم) قد أرق الإنسان زمانا طويلا في مسيرته التاريخية، لكن أدركته العناية الربانية بإرسال الرسل وإنزال الكتب المتضمنة للإجابة الشافية عن الأسئلة الوجودية التي عجزت كثير من الفلسفات البشرية عن حلها ، وبحمد الله فقد أغنى الصباح عن المصباح.

---

[200] فريد الأنصاري، **الإنسان ومفهوم الانتساب الإيماني عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي**، مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 19 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2019. ص44

1.2 الإنسان مكلف بعبودية كلية

الغاية الحقيقية من حياة الإنسان هي عبادة الله وحده، وهي حق لله تعالى على الإنسان، ونسبة شريفة بين العبد وربه، وقد نصت الآيات الكريمة على أن وظيفة الإنسان في هذه الحياة هي العبودية لله حيث قال الحق تعالى: ﴿ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاّ ليَعْبُدُون ﴾[201] ذلك أن إرادته الأزلية شاءت خلق المصنوعات لتكون مرايا لتجليات أسمائه وصفاته وبرأ الإنسان ليكون مخلوقا مدركا يستدل بالآثار البديعة على مبدعها جل شأنه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عبودية الإنسان تمتاز عن باقي أنواع العبادات التي تؤديها سائر المخلوقات، بأنها عبودية تمتاز بصفة الكلية، كما أشار إلى ذلك بديع الزمان بقوله: "إن المقصد الأسمى من خلق الكون هو قيامك بعبودية كلية تجاه تظاهر الربوبية، وإن الغاية القصوى من خلقك أنت هي بلوغ تلك العبودية ."[202]

والسبب في اختصاص الإنسان بالعبودية الكلية، هو كما مرّ بنا في مباحث ماهية الإنسان، فقد تبين لنا بأن الإنسان مخلوق ذو ماهية جامعة، واقتضت تلك الجامعية في استعداده القيام بعبودية جامعة، تتضمن الإيمان بالله، ومعرفته ومحبته، والقيام بمرضياته تعالى على أكمل وجه، وكما أشار بديع الزمان: "الكون قد خلق لأجل هذا الإنسان، والإنسان مخلوق للمعرفة الإلهية ولمحبته سبحانه وتعالى"[203]فإذا قام الإنسان بوظيفة العبادة وامتلأ حبا لله وزاد معرفة به، صار أهلا لكمالات ومقامات كثيرة لا حدّ لها، ويلخص بديع الزمان هذه المسألة بقوله: "اعلم يقينا أن أسمى غاية للخلق، وأعظم نتيجة للفطرة الإنسانية هي الإيمان بالله،واعلم أن أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية هو معرفة الله التي في ذلك الإيمان،

---

201 الذاريات: 56

202 **الكلمات**، ص 293

203 **اللمعات**، ص 544

واعلم أن أزهى سعادة للإنس والجن وأحلى نعمة هو محبة الله النابعة من تلك المعرفة."[204]

فالإنسان إذاً لم يخلق عبثا، وليس هو كائن سائب له أن يسرح كيفما يشاء، بل خلق لغاية وأرسل إلى ميدان الحياة ليؤدي مهمة جليلة، تتعلق بسائر المخلوقات، ذلك أن الكون خلق للإنسان، وتتحقق الغاية من خلقته بقيام الإنسان بوظيفة العبودية التي أنيطت به، كما تبين إلى ذلك رسائل النور "لا بد أن الغاية القصوى لهذا الإنسان هي أن يفي بحق وظائفه المتطلعة إلى مقاصد لانهاية لها، وأن يعلن عن عجزه وفقره أمام الله تعالى بعبوديته، وأن يرى بنظره الواسع تسبيحات الموجودات فيشهد على ذلك."[205]

ولأن العبودية تتضمن العجز والفقر، وهما جناحان للإنسان للتحليق والارتفاع إلى ذرا الفضائل، وهي علاوة على ذلك وظيفة فطرية لا معنى لحياة الإنسان دون أدائها، وبعبارة بديع الزمان "إن وظيفة الإنسان الفطرية إنما هي التكمل بالتعلم أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة، والعبودية بالدعاء"[206]وهذا يعني " أن وظيفته الأساس هي التحليق والارتفاع بجناحي العجز والفقر إلى مقام العبودية السامي."[207]

ولأجل امتياز الإنسان بالنظر الواسع، والرؤية الكلية، والإدراك الشامل، اتخذه الله سبحانه مخاطبا دون المخلوقات، لأن الوعي الذي أُختُص به يجعله أهلا لاستيعاب معاني الآيات التنزيلية وفهم أسرار الآيات التكوينية المكتوبة بقلم القدرة في الأنفس والآفاق، فكما يقول بديع الزمان: "إذا ما رفع الإنسان رأسه وأستمع بقلب شهيد لدروس الإيمان من لسان القرآن وتوجه إلى الوحدانية، فإنه يستطيع أن يصعد بمعراج العبادة إلى عرش الكمالات والفضائل فيغدو إنسانا باقيا"[208]فالعبادة إذاً معراج رقي للإنسان الذي اتخذه الله مخاطبا، و يؤكد هذه الحقيقة بديع الزمان في سياق آخر

---

[204] **المكتوبات**، ص 273.
[205] **الكلمات**، ص 367.
[206] **المصدر نفسه**، ص 355.
[207] **المصدر نفسه**، ص 355.
[208] **المصدر نفسه**، ص 416

بقوله: "إن في هذه الموجودات نوع الإنسان الذي يستطيع أن يشاهد هذه الربوبية العامة بجميع دقائقها وهذه الألوهية الجليلة بجميع حقائقها، فلا ريب أن ذلك الحكيم المطلق سيتكلم مع الإنسان ويعلمه مقاصده"[209] فلا بدّ للإنسان أن يقدِّر هذا الشرف الرفيع الذي حظي به من لدن مولاه، ويصغي بأذن قلبه إلى الخطابات السبحانية لكي يدرك مقصد الصانع الجليل من خلقه.

نعم، إن أعظم حكمة لمجيء الإنسان إلى هذا العالم هو الإيمان بالله والقيام بعبوديته، لذلك نجد كثيرا من الآيات القرآنية توجه الناس إلى الغاية الحقيقية من خلقهم وإرسالهم إلى هذه الدنيا، وهي اتخاذها مزرعة ووسيلة للآخرة لبلوغ مرضاة الله، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ومَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وسَعَى لها سَعْيَهَا وهُوَ مُؤمِن فَأُولئكَ كَانَ سَعْيُهُم مَشْكُورًا ﴾[210] وإذا عرف الإنسان هذه الغاية وعمل بمقتضاها، يكون قد حقق غاية وجوده وسعد في حياته، فكما يقول بديع الزمان: "إن أسعد إنسان في هذه الحياة هو الذي يتلقى الدنيا مضيف جندية ويذعن أنها كذلك، ويعمل وفق ذلك، فهو بهذا التلقي يمكن أن ينال أعظم مرتبة، ويحظى بها بسرعة، تلك هي مرتبة مرضاته سبحانه."[211]

نظرا لما ذُ كر آنفا، فإن سعادة الإنسان هي في الانتساب إلى الله تعالى بالعبودية والإيمان، وإدراك أن هذه الدنيا هي مقر جندية يتغيّا الإنسان فيها مرضاة سيده الذي بيده زمام كل شيء، فيكون الإنسان بهذا الإنتساب جنديا لا يخشى شيئا ويجد ملاذا آمنا لنيل جميع مطالبه، ويحسن في تأكيد هذا المعنى ذكر عبارات بديع الزمان التي يشير فيها بأن "الذي يتحرك ويسكن، ويصبح ويمسي بهذه الكلمة (باسم الله) كمن انخرط في الجندية، يتصرف باسم الدولة، ولا يخاف أحد، حيث إنه يتكلم باسم الدولة، وباسم القانون، فينجز الأعمال، ويثبت أمام كل شيء."[212]

---

[209] **المصدر نفسه**، ص 665

[210] الإسراء: 19

[211] **المكتوبات**، ص 40.

[212] بديع الزمان، سعيد النورسي، **الموازنات** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي) إستانبول: دار سوزلر ص 13

ومن الجدير بالذكر، أن العبودية ليست وظيفة الإنسان وحده، وإن كان قد انفرد بالقيام بها بصفة كلية، بل كل المخلوقات لها عبادات وتسبيحات مخصوصة بشهادة الآية الكريمة ﴿وإنْ مِنْ شيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بحمْدِه﴾[213]، ويستطيع الإنسان مشاهدة تلك الألوان من العبادة والتسبيحات التي تقوم بها باقي الموجودات إذا نظر إلى الكون من خلال نور الإيمان، وفي هذا المعنى يقول بديع الزمان في سياق ذكره لغايات حياة الإنسان، فمنها "فهم الأقوال الصادرة من كل موجود في العالم، وإدراك كلماته المعنوية - كل حسب لسانه الخاص- فيما يخص وحدانية خالقه وربوبيته المبدعة"[214]وللإطلاع على نموذج لاستقراء تسبيحات الموجودات يمكن قراء رسالة الآية الكبرى وهي رسالة قيمة جدا، حيث يأخذ بديع الزمان القارئ في جولة لمشاهدة تسبيحات الكون، وهي كما بيّن في مستهلها مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه.

يفهم مما بيناه إذاً، أن واجب الإنسان بعد أداء عبادته المخصوصة أن يرفع بصره ويجيل نظره في آفاق الكون لملاحظة آيات الربوبية، ورؤية علامات الوحدانية المضروبة على كل مصنوع، فيؤديه ذلك إلى قراءة تسبيحات كل المصنوعات من النجوم والشموس والأقمار والسحاب والمحيطات والحيوانات والنبات إذ إن الله تعالى يقول: ﴿ ألم تَرَ أنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَه مَن في السَّمَاواتِ والأرضِ والشَّمس والقَمَرُ والنُّجُومُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ وكَثِيرٌ من الناس﴾[215]

فكل مصنوع يسبح الله ويقوم بوظائفه باسمه سبحانه كما ورد في الكلمة الأولى من رسائل النور، فإن "الموجودات أيضا تؤدي وظائفها باسم الله، فالبذيرات المتناهية في الصغر تحمل فوق رؤوسها باسم الله أشجارا ضخمة وأثقالا هائلة، أي أن كل شجرة تقول: (بسم الله) وتملأ أيديها بثمرات من خزينة الرحمة الإلهية، وتقدمها إلينا، وكل بستان يقول: (بسم الله)، فيغدو مطبخا للقدرة الإلهية تنضج فيه أنواع من الأطعمة

---

[213] الإسراء: 44

[214] **الكلمات**، ص 137.

[215] النور: 41.

اللذيذة، وكل حيوان من الحيوانات ذات البركة والنفع – كالإبل والماعز والبقر- يقول: (بسم الله)، فيصبح ينبوعا دفاقا للبن السائغ، فيقدم إلينا باسم الرزاق ألطف مغذ وأنظفه."[216]

وعلى العكس من النظرة المادية للكائنات، تلك النظرة التي تنظر إلى حركات الموجودات على أنها تحولات عشوائية لا تحدوها غاية ولا يوجهها أي هدف، نجد أن النظرة الإيمانية القرآنية التي تجلي معالمها رسائل النور تنظر إلى العالم على أنه مسجد كبير تؤدي فيه جميع الموجودات ألوانا متنوعة من العبادات، وتلاحظ الكون باعتباره معرضا بديعا تُشاهَد فيه بدائع الصنعة الربانية، وترى الموجودات بصفتها مكتوبات صمدانية تستقرئ أسماء الله الحسنى وصفاته، لأن كل موجود يشهد على وجوب وجود الله ووحدانيته بألسنة مختلفة، ذكر بديع الزمان منها في إحدى رسائله العربية خمسة وخمسين لسانا،[217] ويذكّر في موضع آخر من رسائله كل إنسان بهذه الحقيقة إذ يقول: "انظر إن كل حرف من كتاب يدل على نفسه بمقدار جرمه، ويظهر ذاته بمقدار صورته لكن يدل على صانعه بوجوه"[218] فإذا أدرك الإنسان هذه الغاية وتأمل بنظره الواسع تسبيحات الموجودات يدخل في زمرة من وصفهم الله تعالى بأولي الألباب في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ في خَلقِ السَّمَاواتِ والأرْضِ لآياتٍ لأولي الألَباب، الذِين يَذْكُرونَ اللهَ قِيامًا وقُعُودًا وَعَلى جُنُوبِهم ويَتَفَكَّرُون في خَلقِ السَّمَاواتِ والأرضِ رَبنَا ما خَلَقتَ هَذَا بَاطِلا سُبحَانَك﴾[219]

والصلاة التي يؤديها كل مسلم هي صورة حية للعبودية الكلية، لأنها خلاصة لجميع العبادات إذ يقف الإنسان وهو خلاصة الكون بين يدي الله، ثم يقرأ في مستهل صلاته الفاتحة وهي خلاصة جامعة لمقاصد القرآن، وعندما يجلس للتحيات يقدم أثار الحياة لجميع ذوي الحياة في حضرة مولاه بقوله التحيات لله، وقد بين بديع الزمان في سياق تعداده لغايات حياة

---

[216] بديع الزمان، سعيد النورسي، **أسرار قرآنية** (ترجمة إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار سوزلر ص 6.

[217] انظر: **المثوي العربي النوري**، ص 225.

[218] **المثنوي العربي النوري**، ص 60.

[219] آل عمران: 190.

الإنسان بأن منها "شهود مظاهر الحياة لذوي الحياة، شهود علم وبصيرة، إذ هي تحياتها، ودلالاتها بحياتها على بارئها سبحانه، ورؤية تسبيحاتها لخالقها، رؤية بتفكر وعبرة، إذ هي رموز حياتها، وعرض عباداتها إلى واهب الحياة سبحانه، والشهادة عليها، إذ هي غاية حياتها ونتيجتها"[220] فهذا هو معنى العبودية الكلية في الصلاة و حقيقة التحيات في ختامها.

ولما كان خلق الإنسان من أعضاء وآلات كثيرة، أودعها الله في كيانه بحكمة، لزم أن تكون عبوديته كلية، بأن يؤدي كل عضو وجهاز عبادته المخصوصة به، لذا نجد أن العابد في صلاته يذكر فعل العبادة بصيغة الجمع حتى لو كان يؤدي صلاته منفردا، والسر في استخدام صيغة الجمع أثناء قراءة الفاتحة في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[221]هو كما ذكره بديع الزمان "نعبد نحن معاشر أعضاء وذرات هذا العالم الصغير – وهو أنا – بالشكر العرفي الذي هو إطاعة كلٍ لما أُمِرَ به"[222]

ولتوضيح معاني العبودية الكلية يذكر بديع الزمان في رسائله أمثلة لعبودية جوارح وأجهزة الإنسان، نتطرق على سبيل المثال إلى ثلاثة منها وهي: الخيال، و العين، وحاسة الذوق

أولا: الخيال

وهي قوة مصورة أودعها الله في دماغ الإنسان، تقوم بوظائف عديدة، يقول بديع الزمان في شأن عبوديتها: " كما أن سجدة الرأس لغير الله ضلالة، كذلك سجدة خيال الشعراء بالحيرة المفرطة والمحبة الوالهة في مدح غير الله – لا بحساب الله- أيضا ضلالة يفسق بها الخيال، وقس على الخيال إخوانه"[223] ويُستَنتَج من هذا بأن الخيال قوة حباها الله للإنسان ولها عبودية مخصوصة خلقت لأجلها وينبغي صرفها في سبيلها ، وخير مثال على ذلك الشعراء الذين يصورون الفضائل ويجوبون بمستمعيهم في آفاق الجمال الرحبة.

---

220 **الكلمات**، ص 136

221 الفاتحة: 5

222 **إشارات الإعجاز**، ص 29

223 **المثنوي العربي النوري**، ص 320.

ثانيا: العقل

وهي قوة الإنسان المدركة المفكرة، ووسيلته لتعقل الأمور، وسبر أغوارها، يدعو بديع الزمان الإنسان إلى استعمالها في سبيل مرضاة الله حتى ترتفع قيمة العقل، حيث أنه إذا بيع لله " فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء، وكل موجود وكل حادثة... ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة مرشد رباني يهيء صاحبه للسعادة الخالدة."[224]

ثالثا: الذوق

وهي حاسة أودعها الله في لسان الإنسان لتمييز الأطعمة ومعرفة أنواع اللذائذ والإحسانات الربانية، يقول بديع الزمان في معرض الحديث عن عبوديتها وبيعها لله واستعمالها بحسابه: "إن بعتها إلى الرزاق الكريم فإنها ترقى إلى درجة ناظر ماهر لخزائن الرحمة الإلهية ومفتش شاكر لمطابخ القدرة الصمدانية."[225]

ونتيجة لما سبق ذكره، فإن الإنسان إذا استعمل أجهزته وأعضاءه الظاهرة والباطنة في دائرة مرضاة الله، يكون بذلك قد حفظ الأمانة وارتفع بقيمة كل عضو من الواحد إلى الألف، لأن الكيفية التي خلق الإنسان عليها تدل على أنه مخلوق لهذه الغاية، فكما يقول بديع الزمان: "إن من شاهد البشر مجهزا ومسلحا باستعدادات، يأمل ويرجو منه العبادة، كمن يرى مخالب حيوان وأنيابه، يأمل منه الافتراس، كذلك إشارة إلى أن العبادة مقتضى الفطرة."[226]

وخلاصة القول فإن قيام الإنسان بعبودية كلية هو إيفاء لمقتضى الميثاق الأزلي الذي أخذه الله على الناس، كما ورد في الآية الكريمة ﴿ وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيتَهُم وأَشْهَدَهُم عَلى أَنْفُسِهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم

---

[224] **الكلمات**، ص 23.
[225] **المصدر نفسه**، ص 24.
[226] **إشارات الإعجاز**، ص 157.

قَالوا بَلى﴾[227] فإذا وفى الإنسان بهذا الميثاق، وأدى مهمة العبادة فإنه سيعيش حياة كريمة طيبة يجمع فيها المبدأ والمنتهى، ونختم بكلمات بديع الزمان في هذا السياق حيث يقول: " وما في جامعية الاستعداد من قابلية العبادة، تخبرنا بأن الإنسان ما خلق هكذا ليكون منكوس الرأس يخلد إلى الفاني، بل قابلية العبادة لصرف وجهه الشفاف من الظلمة إلى النور، ومن فضاء العدم إلى الوجود، ومن المنتهى إلى المبدأ، ومن الفاني إلى الباقي، ومن الخلق إلى الحق، كأن العبادة حلقة اتصال بين المنتهى والمبدأ في دائرة الخلقة"[228]

وبعد بياننا لوظيفة العبودية الكلية في هذا المطلب، سنستعرض تاليا وظيفتين مهمتين تتعلق بالإنسان، وهو مطالب بأدائها بمقتضى فطرته وهي وظيفة خلافة الأرض، ووظيفة حمل الأمانة الكبرى.

---

[227] الأعراف: 172

[228] **المثنوي العربي النوري**، ص 133.

2.2 الإنسان خليفة في الأرض

لقد انتخب الله سبحانه مخلوقه المكرم (الإنسان) ليكون خليفة، وجعل الأرض دار ضيافة له، حيث هيأ له كل شرائط الحياة، ليعيش فيها ضيفا عزيزا لمولاه، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُم مِن الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُم فِيهَا﴾[229] ويقول الطبري في تفسير هذه الآية: " جعلكم عمارا فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم"[230] وقد ورد في الحديث الشريف أن ((الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تفعلون))[231]

ومن المعلوم، أن الإنسان قد تبوأ الموقع المميز بين باقي ذوي الحياة، لاختصاص الله إياه بتعليم الأسماء، فعندما عبّر الملائكة الكرام عن خشيتهم من أن يفسد هذا المخلوق في الأرض، أجابهم الحق تعالى بقوله: ﴿ إِني أَعْلَمُ مَا لاتَعْلَمُون ﴾[232]

وقضية خلافة الإنسان تناولتها كتب التفسير، وعالج دلالاتها كثير من علماء الإسلام في جميع فروع العلوم الإسلامية، وقد توصلوا إلى رؤى قيمة تستدعي دراسات مفصلة للوقوف على أبعادها، إذ إن هذه القضية تمس جوهر الوجود الإنساني، ومقامه في مسرح هذا العالم. ويمكن تلخيص مجمل أقوال المفسرين في معنى كلمة خليفة الوارد في قوله تعالى﴿ إني جَاعلٌ في الأرْض خليفَة ﴾[233]

أولاً: الذي يخلف الذي كان قبله

ثانيا: الذي يسكن الأرض ويعمرها

---

[229] هود: 6

[230] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ص288.

[231] صحيح مسلم بلفظ: إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ،كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء 99 - (2742)-4/ 2098، مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري، 11035 -17 /83.
وفي صحيح البخاري عن حكيم بن حزام بلفظ : إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ. صحيح البخاري،كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف 1472 -123/2.

[232] البقرة: 30.

[233] البقرة: 30

ثالث: يخلف بعضهم بعضا[234]

وقد أضاف النسفي معنى رابعا وهو أن المقصود باخليفة آدم ومعنى خلافته أنه يخلف الله في أرضه "خليفة مني، لأن آدم كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي"[235]

ولأن إطار حديثنا في هذا المبحث هو نظرات بديع الزمان حول هذه المسألة في رسائله النورية، فإننا سنحاول ذكر قبسات من إضاءاته في هذا الشأن، ففي سياق تفسيره للآيات التي جاء فيها ذكر خلق آدم عليه السلام، وجعله خليفة، وتعليمه الأسماء وسجود الملائكة له يقول يقول بديع الزمان: " ان تعليم الأسماء معجزة من معجزات سيدنا آدم عليه السلام تجاه الملائكة، إظهارا لاستعداده للخلافة، وهي وإن كانت حادثة جزئية، إلا أنها طرف لدستور كلي وهو: أن تعليم الإنسان – المالك لاستعداد جامع – علوما كثيرة لا تحد، وفنونا كثيرة لاتحصى حتى تستغرق أنواع الكائنات، فضلا عن تعليمه المعارف الكثيرة الشاملة لصفات الخالق الكريم سبحانه، وشؤونه الحكيمة، إن هذا التعليم هو الذي أهل الإنسان لينال أفضلية ليس على الملائكة وحدهم، بل أيضا على السماوات والأرض والجبال."[236]

وكما يلاحظ من هذا التفسير، فإن تكريم الإنسان بمقام الخلافة إنما هو لاستعداده الجامع، وقابليته لتعلم علوم كثيرة، وبهذا " يتعمق الأستاذ النورسي بخلاف معظم المفسرين في استخراج معنى جديد وعميق جدا من معاني تعليم الأسماء.... فتعليم الأسماء عنده لا يقتصر على ماذهب إليه الإمام القرطبي في أن الأسماء تعني العبارات، والتي قد تتضمن أسماء جميع الأشياء، أو تتضمن اللغات التي هي أسماء في جوهرها، أو ما ذهب

---

[234] انظر: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج1 ص 85

[235] النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمد أبي البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (تحقيق: يوسف علي بديوي) ج 3 دمشق: دار الكلم الطيب، ج1 ص 78.

الكلمات، ص [236]271

إليه ابن كثير على أن تعليم الأسماء تعني الأشياء كلها ذواتها وصفاتها"[237] كما أكّد عليه بديع الزمان في تفسيره العربي حيث يقول: "علم آدم الأسماء أي صوره بفطرة تضمنت أنواع الكمالات، وخلقه باستعداد زرع فيه أنواع المعالي"[238] إذاً لم يستحق الإنسان شرف تسنُّم هذه المسؤولية إلا لجامعية ماهيته، وبما جهزه الله من ملكات واستعدادات.

ولا شك، فإن شرط قيام الإنسان بمهمة الخلافة هذه، على وجه يرضي الله ، هو تحصيله العلم والاستزادة منه، والسعي لمعرفة قوانين الله وسننه الكونية، والقوانين التي نظم بها العالم بحكمته، لأنه كما ذكر بديع الزمان "جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء، لأن كل شيء فيه موجه إلى العلم ومتعلق بالمعرفة حسب الماهية والاستعداد."[239]

وإذا حاز الإنسان تلك العلوم، واستكشف أحكام الشريعة التكوينية التي هي جلوة إرادة الله، تيسرت له وظيفة خلافة الأرض وارتفاق الكون، إذ إن كل العلوم التي توصل إليها الإنسان في مجالات الفيزياء والكيمياء والأحياء والرياضيات هي نتيجة هذا النظر، كما بين ذلك بديع الزمان في قوله عن الإنسان: "هو أكرم ضيف في قصر الكون، وهو أنشط موظف مأذون له التصرف في سكنة ذلك القصر، وهو المأمور المكلف عن حرث الأرض، والناظر المسؤول عن وارداتها ومصاريفها، بما جهز من مئات العلوم وألوف المؤهلات"[240] فبالعلم إذاً يتمكن الإنسان من التصرف في الموجودات، وتسخير الأحياء على وجه الأرض.

والمتتبع للتاريخ البشري، يرى أن البشر قد قاموا بإنجازات حضارية عظيمة، تشهد له المعالم الحضارية التي بنوها، والمدنيات التي أنشؤوها، ولأن طبيعة الإنسان النسيان، واسمه مشتق منه على قول، ادّعى بعض

---

[237] عبدالعزيز برغوث، **موقع نظرية العلم في عملية الاستخلاف والتحضر عند النورسي**، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، ع1 إستانبول: 2010. ص123.

[238] **إشارات الإعجاز**، ص 237.

[239] **الكلمات**، ص 355.

[240] **الشعاعات**، ص 258.

البشر أنه حقق تلك الإنجازات بقوته وغلبته، يرد بديع الزمان على هذا الإدعاء الباطل ويبين أن "هذه المنزلة والسلطنة التي يتمتع بها الإنسان، وهذه الترقيات البشرية والآفاق الحضارية، ليس ناشئة من تفوقه وقوة جداله وهيمنة غلبته، ولا هو بجالب لها، بل منحت للإنسان لضعفه، ومدت له يد المعاونة لعجزه، وأحسنت إليه لفقره، وأكرم بها لاحتياجه."[241]

وبناء على هذا، فإن تسخير الموجودات للإنسان، وجعلها طيّعة تحت أمره، ليست لقوة فيه، وإنما هو إكرام من الله له، لما انطوت عليه ماهيته من فقر واحتياج لاحدود له، وفي هذا المعنى يقول بديع الزمان: " إن الإنسان في هذا الكون أشبه ما يكون بالطفل الضعيف، المحبوب الذي يحمل في ضعفه قوة كبيرة، وفي عجزه قدرة عظيمة، لأنه بقوة ذلك الضعف وقدرة ذلك العجز سخرت له هذه الموجودات وانقادت له"[242]

فالإنسان إذاً، متقلب في عجز مطلق، ولم ينل هذا المقام السامي في الكون ولم تسخر له الموجودات إلا لضعفه، وأنّى له أن يتغلب على هذه الأجرام العظام لولا تسخير القدير الأزلي له تلك المخلوقات، إذ إن الإنسان كما يصفه بديع الزمان " كالصبي يصل ببكائه إلى ما لا يصل إليه بألوف أضعاف قوته، فيتفوق بالتسخير لا بالغلبة والغصب والجلب، فعليه أن يعلن عجزه وضعفه وفاقته بالاستمداد والتضرع والعبودية."[243]

نفهم من ذلك، أن الله سبحانه قد أراد وجود هذا الإنسان في الأرض خليفة فيها، وسخر له كل المخلوقات، وجعله سيدا مطاعا وسلطانا تنقاد له كل الموجودات،كما يشير بديع الزمان إلى هذه الحقيقة في موضع آخر بقوله: " وهكذا جعل الحي القيوم سبحانه الإنسان مركزا للكون، ومحورا له، بل سخّر الكون له فمدّ أمامه سفرة عظيمة عظم الكون لتتلذذ أنواع معداته المادية والمعنوية."[244]

---

[241] **الكلمات**، ص 370

[242] **المصدر نفسه**، ص 369

[243] **المثنوي العربي النوري**، ص 357.

[244] **اللمعات**، ص 540

وعلاوة على ذلك، فإن الله قد اختار الإنسان من بين الأحياء، وجعله مشرفا وناظرا على كل المصنوعات، ورئيسا على جميع الكائنات، ومحطا للعناية الربانية.

وكذلك، فإن هذا التشريف الذي حظي به الإنسان هو محض لطف من الله، لم ينله الإنسان بمزايا ذاتية فيه، لذا توجب عليه مقابلة ذلك بشكر عظيم للمنعم سبحانه، إذ إن الإنسان لما أدركته العناية الربانية نال عظمة معنوية بين سائر المخلوقات، رغم صغره وجزئيته الظاهرية، ويلفت بديع الزمان النظر إلى هذا المعنى بقوله: "حتى صار هذا الإنسان المخلوق الضعيف – مع صغره وكونه كذرة بين هذه العوالم – عبدا محبوبا لخالق الأرض والسماوات وخليفة الأرض، ورئيس الحيوانات وغاية خلقة الكائنات"[245]

وهناك سؤال يخطر في كثير من الأذهان، عن حكمة إخراج آدم عليه السلام من وطنه الأصلي الجنة وإرساله إلى الأرض، ويقدم بديع الزمان إجابة على هذا التساؤل الذي استنبط معناه من القرآن الحكيم ببيانه السر من ذلك فيقول: " حكمته التوظيف، فقد بعث إلى الأرض موظفا، موكلا إليه مهمة جليلة، بحيث إن نتائج تلك الوظيفة هي جميع أنواع الرقي المعنوي البشري، وانكشاف استعدادات البشر ونمائها"[246]

وليتسنى للإنسان القيام بمقتضيات ذلك التوظيف، جعل الله تعالى الأرض للإنسان ذلولا، ومنحه النعم الظاهرة والباطنة، وملأها بالأرزاق والنعم التي لا تستقيم حياة الإنسان إلى بها، ويستخدم بديع الزمان تشبيها بليغا في بيان هذه الحقيقة فيقول: " كما تنظم خرز المسبحة بالخيط، فتربط رؤوس خيوط رؤوس النعم بالإنسان ومصالحه، ومنافعه، فيكون الإنسان بما يشبه فهرسا لأنواع مافي خزائن الرحمة الإلهية ونموذجا لمحتوياتها"[247]

---

[245] **المصدر نفسه**، ص 278.
[246] **المكتوبات**، ص 53
[247] **اللمعات**، ص 541

والذي يجيل نظره في أطراف العالم يستيقن هذه الحقيقة فإن كل شيء في العالم ينظر إلى الإنسان، ويسعى في خدمته ومصالحه، ونجد بديع الزمان أثناء بحثه في مسائل دقيقة حول اسم الله الأعظم القيوم، يعقب ذلك بحديث عن الإنسان، فيقول"إن الكائنات التي هي قائمة بسر القيومية فهي تقوم أيضا – من جهة بالإنسان، الذي يمثل أكمل مظهر من مظاهر تجلي اسم القيوم، أي إن القيومية تتجلى في الإنسان تجليا يجعل منه عمودا ساندا للكائنات جميعا، بمعنى أن معظم الحكم الظاهرة في الكائنات وأغلب مصالحها وغاياتها تتوجه إلى الإنسان."[248]

وفي ختام حديثنا لقضية خلافة الإنسان في الأرض، نود ذكر صور من الاستخلاف، كان الأنبياء الكرام بمعجزاتهم روادا في تحقيقها، وأشار إليها القرآن الكريم عند ذكره لوقائع الأمم السابقة، وهو معنى لطيف لا نكاد نجد حسب علمنا من تناولها من المفسرين بهذه الدقة مثل بديع الزمان، وقد ناقشها في الكلمة العشرين ويقرر بأن "الطائرة والكهرباء والقطار واللاسلكي وأمثالها من منجزات العلم والصناعة، والتكنلوجيا الحديثة، والتي تعد حصيلة التقدم الإنساني ورقيه في مضمار الصناعة والعلم، أصبحت هذه الاختراعات موضع اهتمام الإنسان، وتبوأت مكانة خاصة في حياته المادية، لذا فالقرآن الكريم الذي يخاطب البشرية قاطبة، لم يهمل هذا الجانب من حياة البشر، بل قد أشار إلى تلك الخوارق العلمية من جهتين:

الجهة الأولى: أشار إليها عند إشارته إلى معجزات الأنبياء عليهم السلام

الجهة الثانية: أشار إليها عند سرده بعض الحوادث التاريخية."[249]

ويذكر بديع الزمان في معرض حديثه عن معجزات الأنبياء أن "القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد

---

[248] **المصدر نفسه** ، ص 539

[249] **الكلمات**، ص 278

نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعيّن أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها"[250] ثم بين بديع الزمان بضعة نماذج لتلك المعجزات كمعجزة سيدنا سليمان عليه السلام في تسخير الريح كإشارة إلى أن البشر بإمكانهم امتطاء صهوة الهواء، ويذكر أيضا معجزة موسى عليه السلام التى تدعو البشر ضمنا إلى اكتشاف آلات تمكنهم من استخراج المياه من باطن الأرض، ويعقب ذلك بذكر معجزة عيسى عليه السلام في شفاء المرضى، إذ فيها تذكير للإنسان بألا ييأس من الشفاء لأن الله جعل لكل داء مهما كان دواء يعثر عليه من يبحث عنه.

وعودا على بدء فإن بديع الزمان بعد ذكر نماذج لمعجزات الأنبياء يذكر نكتة مهمة، يقول فيها بأن: " كل ما ناله الإنسان – من حيث جامعية ما أودع الله في من استعدادات – من الكمال العلمي، والتقدم التقني، ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات، تعبر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء ﴿وعَلَّمَ آدمَ الأَسْمَاءَ كُلَّها﴾[251] وهذا تعبير ينطوي على رمز رفيع ودقيق، وهو: أن لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن – أيا كان – حقيقة سامية عالية، وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى"[252] ويذكر من تلك الأسماء العدل والمقدر وعلاقتها بعلم الهندسة، وكذلك يذكر كيفية استناد علم الطب إلى اسم الله الشافي.

---

[250] **المصدر نفسه** ، ص 280.

[251] البقرة: 31

[252] **المصدر نفسه** ، ص 290.

3.2 الإنسان حامل للأمانة الكبرى

سنتناول في هذا المطلب إحدى الوظائف العظيمة للإنسان في هذه الحياة، وهي حمل الأمانة الكبرى، تلك الأمانة التي أشفقت منها أجرام تفوق الإنسان جسامة، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ والأَرضِ والجَبَالِ فَأَبَينَ أَنْ يَحمِلنَها وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَها الإِنْسَان﴾.[253]

وفي تفسير معنى الأمانة ذهب معظم المفسرين على معناها التكاليف الدينية، وفي ذلك يقول الإمام القرطبي: "الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقول"[254] وخص الإمام الغزالي من التكاليف الدينية معرفة الله وتوحيده فأشار إلى أن الإنسان "له خاصية تميَّز بها عن السماوات والأرض والجبال، بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالىوتلك الأمانةهي المعرفة والتوحيد"[255]

ولمناقشة مسألة الأمانة هذه خصص بديع الزمان المقام الأول من الكلمة الثلاثين التى استهلها بذكر الآية الآنفة الذكر لمناقشة هذه القضية الجليلة، وقد أفاد بأن "الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، لها معان عدة، ولها وجوه كثيرة، فمعنى من تلك المعاني ووجه من تلك الوجوه هو (أنا)[256] فرسائل النور تبين أن من إحدى معاني الأمانة هي الأنا التي تنطوي عليها ماهية الإنسان.

لكن ما المقصود من (أنا)؟

إنه يقصد بذلك ما أودعه الله في كينونة الإنسان من صفات جزئية بسيطة ليستدل بها على صفات الله تعالى المحيطة المطلقة، ويقول بديع الزمان في بيان هذا المعنى: "إن الله جل جلاله وضع بيد الإنسان أمانة هي

---

253 الأحزاب: 72

254 **الجامع لأحكام القرآن**، ص14/255.

255 **إحياء علوم الدين**، ص3/14

256 **الكلمات**، ص 624.

أنا الذي ينطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق أوصاف ربوبيته الجليلة وشؤونه المقدسة، أي يكون أنا وحدة قياسية تُعرف بها أوصاف الربوبية وشؤون الألوهية"[257]

إذاً، فإن ما في الذات الإنسانية من (أنا)، هو أمر له صلة بمعرفة الله تعالى وصفاته، إذ إن تلك المعرفة هي غاية الوجود الإنساني في الحياة، وسبيل الإنسان لبلوغ تلك الدرجة الرفيعة في المعرفة الإلهية هو معرفة حقيقة الأنا ومعنى الأمانة التي حملها الإنسان ليرقى إلى آفاق سامية لا يبلغها سواه، يعبر بديع الزمان عن هذا بقوله: " فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحا يفتح كل أبواب العالم، وطلسما يفتح به الكنوز المخفية لخلاق الكون، والمفتاح هو مافيك من (أنا)."[258]

وفي هذا الموضوع يُطرح سؤال عن حكمة ارتباط معرفة الصفات الإلهية بما في الإنسان من (أنا)، ويجيب بديع الزمان عن هذا التساؤل بقوله: "إن صفات الله سبحانه وتعالى كالعلم والقدرة، وأسماءه الحسنى كالحكيم والرحيم، لأنها مطلقة لا حدود لها ومحيطة بكل شيء، فلا تعرف ماهيتها ولا يشعر بها لذا لابد من وضع حدّ فرضي وخيالي لتلك الصفات والأسماء المطلقة، ليكون وسيلة لفهمها"[259]فالحكمة كما اتضح مما سلف ذكره هي أن يتخذ الإنسان ما تتصف به الأنانية من صفات مقيدة محدودة، وسيلة لإدراك صفات الله تعالى المطلقة التي لاحدود له، وإذا قام الانسان بذلك فإنه يستعد لمعرفة الله سبحانه من خلال ما يجده في ذاته من موازين بسيطة.

ولأنه بالمثال يتضح المقال، أورد بديع الزمان بعض النماذج تبين كيفية توسل الإنسان بما فيه من صفات جزيئة لمعرفة صفات الله المطلقة، إذ يقول مثلا: إن الإنسان "يفهم بربوبيته الموهومة التي يتصورها في دائرة ملكه، ربوبية خالقه المطلقة سبحانه وتعالى في دائرة الممكنات، ويدرك بمالكيته الظاهرية مالكية خالقه الحقيقية، فيقول كما أنني مالك لهذا البيت،

---

257 **المصدر نفسه** ، ص 625.
258 **المصدر نفسه**، ص 625.
259 **المصدر نفسه**، ص 626

فالخالق سبحانه مالك لهذا الكون، ويعلم بعلمه الجزئي، علم الله المطلق، ويعرف بمهارته المكتسبة الجزئية، بدائع الصانع الجليل."[260]

ومما ينبغي التنبه له، أن تلك الصفات الجزئية في الإنسان هي اعتبارية ومفترضة ، وعلى الإنسان أن يتلقاها كذلك، ذلك أن الإنسان إذا حسبها صفات حقيقية سيقع والعياذ بالله في شرك عظيم أشفقت السماوات والأرض والجبال منه، كما أشار إلى ذلك بديع الزمان أن " ماهية (أنا) حرفية أي يدل على معنى في غيره، فربوبيته خيالية، ووجوده ضعيف هزيل إلى حد لا يطيق أن يحمل بذاته أي شيء كان، ولايطيق أن يحمل عليه شيء، بل هو ميزان ليس إلا، يبين صفات الله تعالى التي هي مطلقة ومحيطة بكل شيء، بمثل ما يبين ميزان الحرارة، وميزان الهواء والموازين الأخرى مقادير الأشياء ودرجاتها"[261] وبناء عليه، فإن فهم الإنسان الأنا بهذا الشكل وعرف أنه لا يدل على معنى في ذاته، وإنما هو ميزان، فإنه يمكنه الوفاء بالأمانة، لأن الأنا كما يقول بديع الزمان: "لا يحمل في ذاته معنى، بل يدل على معنى في غيره، كالمرآة العاكسة، والوحدة القياسية، وآلة الانكشاف."[262]

بعد أن ناقشنا معنى الأمانة في رسائل النور، وبينا أن من معانيها الأنا، يحسن أن نتناول ما ذكره بديع الزمان حول تيارين كان لهما هيمنة على الأفكار على مدى التاريخ البشري منذ زمن آدم إلى يومنا وحتى القيامة.

أولاها: تيار النبوة والدين ولهذا التيار نظرة متميزة إلى ذات الإنسان.

ثانيتها: تيار الفلسفة التي عصت الدين.

فكيف نظر كل من هذين التيارين إلى ذات الإنسان وما كان موقفهما من حمل الأمانة؟

أما التيار الأول والسلسة الأولى للنبوة والدين كما بينه بديع الزمان فإنها تنظر إلى (أنا) باعتباره "منشأ العبودية الخالصة لله، أي إن أنا يعرف أنه

---

260 **المصدر نفسه**، ص 626

261 **المصدر نفسه**، ص 627.

262 **المصدر نفسه**، ص 626

عبد لله، ومطيع لمعبوده، ويفهم أن ماهيته حرفية، أي دال على معنى في غيره، ويعتقد أن وجوده تبعي، أي قائم بوجود غيره وايجاده، ويعلم أن مالكيته للأشياء وهمية، أي أن له مالكية موقتة ظاهرية بإذن مالكه الحقيقي، وحقيقته ظلية – ليست أصلية – أي أنه مخلوق هزيل، وظل ضعيف، يعكس تجليا لحقيقة واجبة، أما وظيفته فهي القيام بطاعة مولاه طاعة شعورية كاملة، لكونه ميزانا لمعرفة صفات خالقه، ومقياسا للتعرف على شؤونه سبحانه."[263]

فهذه النظرة الدينية النبوية إلى (أنا)، أثمرت جميع الخيرات التي تمتعت بها البشرية في مسيرتها الطويلة، وحققت نتائج جميلة نعمت الإنسانية في ظلالها، لأن الأنبياء والأولياء كانوا قادة هذه المسيرة، والحاملين للواء العبودية المحضة والتوحيد الحقيقي، ولا يخفى على عاقل بأن خلاص البشرية مما تعانيه اليوم من ويلات إنما هو باتباع الطريق القويم الذي رسم معالمه أولئك الكرام، فقد قال القرآن الكريم فيهم ﴿أولئكَ الذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُم اِقْتَدِه﴾[264]، فأولئك هم أهل الهداية، وبالسير على نهجهم تتحقق سعادة الدارين، يبين بديع الزمان إلى موقفهم بقوله: "هكذا نظر الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، ومن تبعهم من الأصفياء والأولياء إلى (أنا) بهذا الوجه، وشاهدوه على حقيقته هكذا، فأدركوا الحقيقة الصائبة، وفوضوا الملك كله إلى مالك الملك ذي الجلال، وأقروا جميعا أن ذلك المالك جل وعلا لا شريك له ولا نظير، لا في ملكه ولا في ربوبيته ولا في أولوهيته، وهو المتعال الذي لا يحتاج إلى شيء، فلا معين له ولا وزير، بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير"[265] فهذه هي ماهية (أنا) كما نظر إليها تيار الدين والنبوة.

أما التيار الثاني، فهو تيار الفلسفة العاصية للدين، فهي الأخرى لها نظرة تخصها إلى ذات الإنسان، وقد أدت تلك النظرة إلى نتائج وخيمة أضرت بالوجود الإنساني على هذه الأرض، وتسببت له بالشقاء، لأنها

---

263 **المصدر نفسه** ، ص 630

264 الأنعام: 90

265 **الكلمات**، ص 630

جانبت طريق الدين القويم، فكما يخبر بديع الزمان أن هذه الفلسفة "نظرت إلى (أنا) بالمعنى الإسمي، أي تقول: إن (أنا) يدل على نفسه بنفسه، وتقضي أن معناه في ذاته، ويعمل لأجل نفسه، وتتلقى وجوده أصيل ذاتي – وليس ظلا – أي له ذاتية خاصة به، وتزعم أن له حقا في الحياة، وأنه مالك حقيقي في دائرة تصرفه، وتظن زعمها حقيقة ثابتة."[266]

وقد ناقشت رسائل النور هذه النظرة الفلسفية إلى ذات الإنسان والكون في مواضع عديدة، وبينت كنهها، ودحضت أسسها، وقوضت أركانها، وأظهرت تهافتها، ولاسيما الكلمة الثانية عشرة حيث يقول بديع الزمان: " أما ما يسمونه بعلم الحكمة وهي الفلسفة، فقد غرقت في تزيينات حروف الموجودات، وظلت مبهوتة أمام علاقات بعضها ببعض، حتى ضلّت عن الحقيقة، فبينما كان عليها أن تنظر إلى كتاب الكون نظرتها الحروف – الدالة على كاتبها – فقد نظرت إليها بالمعنى الاسمي، أي إن الموجودات قائمة بذاتها، وبدأت تتحدث عنها على هذه الصورة فتقول: ما أجمل هذا، بدلا من: ما أجمل خلق هذا، سالبة بهذا الجمال الحقيقي للشيء، فأهانت بإسنادها الجمال إلى الشيء نفسه جميع الموجودات حتى جعلت الكائنات شاكية عليها يوم القيامة"[267]

نخلص مما سبق أن معنى الأمانة كما فسرتها رسائل النور في ضوء الآيات الكريمة، هو ما في ذات الإنسان من أنانية وهبت له، وذلك ليتعرف من خلال ما أودع فيه من صفات جزئية على صفات خالقه المحيطة، وهذه الصفات في الإنسان تمثل موازين جزئية ومفاتيح فرضية يتوسل بها لوزن مدخرات الرحمة الربانية ولفتح كنوز المعرفة الإلهية، وهذه مسألة مهمة تعد أحد الأسرار التي كشفتها رسائل النور بجانب الأسرار العظيمة التي كشفتها، لذلك أدرج بديع الزمان هذه الرسالة المتعلقة بالأنانية الإنسانية ضمن مجموعة أسرار قرآنية التي تحتوي على رسائل مهمة استلت من كليات رسائل النور.

---

[266] **المصدر نفسه**، ص 630

[267] **المصدر نفسه**، ص141.

ويحسن التذكير هنا بعبارات لبديع الزمان حول هذه المسألة نرى أنها مفيدة لتجلية ما نحن بصدد مناقشته حول الأمانة التي حملها الإنسان إذ يقول في المثنوي العربي النوري: "الإنسان خلق ليكون فاتحا وكاشفا مريئا، وبرهانا نيرا ، ودليلا مبصرا، ومعكسا نورانيا، وقمرا مستنيرا للقدير الأزلي، ومرآة شفافة لتجلي الجمال الأزلي، وقد انجلت وتصيقلت بحمل الأمانة التي تدهشت من حملها السماوات والأرض والجبال، إذ من مضامين تلك الأمانة صيرورة الإنسان واحداً قياسيا لفهم الصفات المحيطة، وصيرورة ما فيه من أنا الذي هو النقطة السوداء بالغفلة والشرك الخفي، مفتاحا لتنوير الصفات."[268]

وبناء على هذه الإفادات القيمة لبديع الزمان نستوعب أن الأنا في الإنسان لها طريقين، كما تبين لنا سابقا، حين بحثنا عن تياري النبوة والفلسفة، فإما أن يعرف الأنا أن ماهيته حرفية، فيسلك بذلك طريق التوحيد ويترقى فيه صعدا في مدارج المعرفة الإلهية، وإما أن يضل سبيله وينظر إلى تلك الصفات المودعة فيه على أنها أمور لها حقيقة ثابته فيقع في شرك عظيم.

وقد تنبه بديع الزمان إلى خطورة (الأنا) منذ سنواته الأولى في التحصيل العلمي، وذكر أنه في مسيرته العلمية والحياتية، كان يحارب صنمين عظيمين وهما الأنا في الإنسان والطبيعة في العالم، حيث أن معركته تلك توجت بالظفر فانتصر ووفق في كسر الصنمين وتحطيم الطاغوتين، بفضل مسلكه القرآني الذي جلّت معالمه رسائل النور التي عكف على تأليفها في مدة تقارب ربع قرن من الزمان، يقول بديع الزمان: "أنا في الإنسان ،كالطبيعة في العالم الكبير، كلاهما من الطواغيت"[269]ويذكر في هذا السياق قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُر بالطَّاغُوتِ ويُؤمِنُ باللهِ فَقَد اسْتَمسَك بِالعُروَة الوُثقَى لا انفِصَام لها﴾. [270]

---

[268] **المثنوي العربي النوري**، ص 300.
[269] **الكلمات**، ص 636
[270] البقرة: 256

ويمكن القول إن بديع الزمان قدّم نظراته حول الفلسفة البشرية من منظور رؤيتها للذات الإنسانية،[271] ونقدها من هذه الزاوية، وقد أحدث بتلك النظرات نُقْلة نوعية في الفكر الإنساني، ذلك أنه أعاد الأمور إلى نصابها فيما يتصل بالعلاقة بين الوحي والعقل أي طريق العبودية التي رسمها الوحي المنزل على الأنبياء، في مقابل طريق الأنانية الطاغية التي تبعتها الفلسفة المنبتة عن هداية السماء، وقد ختم بديع الزمان رسالته حول الأمانة والأنا بذكر حكاية تمثيلية تثبت سهولة ومعقولية طريق الوحي، بجانب صعوبة طريق الفلسفة وما تلاقيها من اشكالات لا حد لها، يقول: " كنت أرى نفسي وسط صحراء شاسعة عظيمة، وقد تلبدت السماء بسحب قاتمة مظلمة، حتى لتكاد الأنفاس تختنق على الأرض كافة، فلا نسيم ولا ضياء ولا ماء، كل ذلك مفقود، توهمت أن الأرض ملأى بالوحوش والضواري والحيوانات الضارة، فخطر على قلبي أن في الجهة الأخرى من الأرض يوجد نسيم عليل وماء عذب وضياء جميل، فلا مناص إذن من العبور إلى هناك، ثم وجدتني وأنا أُساق إلى هناك دون إرادتي، دخلت كهفا تحت الأرض، أشبه ما يكون بأنفاق الجبال، سرت في جوف الأرض خطوة خطوة، وأنا أشاهد أن كثيرين سبقوني في المضي من هذا الطريق تحت الأرض، دون أن يكملوا السير إذ ظلوا في أماكنهم مختنقين، فكنت أرى آثار أقدامهم، وأسمع حينا أصوات عدد منهم، ثم تنقطع الأصوات، فيا صديقي الذي يرافقني بخياله في سياحتي الخيالية هذه، إن تلك الأرض هي الطبيعة والفلسفة الطبيعية، أما النفق فهو المسلك الذي شقه أهل الفلسفة بأفكارهم لبلوغ الحقيقة، أما آثار الأقدام التي رأيتها فهي لمشاهير الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو، وما سمعتُه من أصوات هي أصوات الدهاة كابن سينا والفارابي، نعم كنت أجد أقولا لابن سينا وقوانين له في عدد من الأماكن، ولكن كانت الأصوات تنقطع كليا، بمعنى أنه لم يستطع أن يتقدم، أي إنه اختنق"[272] وهكذا بين صعوبة المسلك الذي سلكه الفلاسفة، ثم عقب تلك الحكاية التمثيلية بذكر الفرق الثلاثة التي ورد ذكرها في أواخر سورة

---

271 انظر مقالة قيمة في هذا الخصوص للفيلسوف المغربي: طه عبدالرحمن، **فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند الحكيم بديع الزمان**، ع1 مجلة النور للدراسات الحضارية، 2010إستانبول، ص29

272 **الكلمات**، ص637.

الفاتحة، وختم الرسالة بقوله: "أما الطريق الثالث المشار إليه بـ﴿ الذينَ أَنْعَمَت عَلَيهِم﴾ فهوالصراط المستقيم والجادة النورانية لأهل القرآن، وهو أقصر الطرق، وأسلمه وأيسره، ومفتوح أمام الناس كافة ليسلكوه، وهو مسلك سماوي رحماني نوراني"[273] نعم، هو كما سلف وصفه، لأنه طريق الوفاء بالأمانة وحملها وعلى وجه يرضي الله ويرقى بالإنسانية إلى أعلى الرتب.

[273] **الكلمات**، ص639

الفصل الثالث

عاقبة الإنسان

3. تمهيد عن عاقبة الإنسان

في هذا الفصل الثالث والأخير، حول الإنسان في رسائل النور، سنتناول قضية مصيرية للإنسان، وهي عن العاقبة التي تنتظره بعد ارتحاله من هذه الحياة، وهو النبأ العظيم الذي تسائل عنه أهل مكة عندما جاءهم الرسول الكريم ببيانات سماوية حول هذه المسألة المهمة، كما جاء في الآيات الأولى من سورة النبأ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُون عَن النَبَأ العَظِيم﴾[274]. وحيث أن الإجابة عن هذا التساؤل لا تفيد فيها التكهنات والأقاويل التي تعد رجما بالغيب، ومن هنا أدركت الإنسان الرحمة الإلهية فأرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتهدي الناس إلى حقيقة مصيرهم.

والمطلع على رسائل النور يجد أن بديع الزمان ناقش هذه المسألة من زوايا متعددة، وسنتناول في هذا المبحث ثلاثة مباحث رئيسية، وردت الاشارة إليها في رسائل النور.

الأول: الإنسان مؤهل للسعادة الأبدية

وسنناقش في هذا المبحث رغبة الإنسان الملحة للبقاء، وكيفية دلالة هذه الرغبة إلى وجود الآخرة بالإضافة إلى نقاط أخرى ذات صلة بالموضوع.

الثاني: الإنسان صاحب استعداد جامع

وسنناقش في هذا المبحث موضوعات تتعلق بالماهية الإنسانية وجامعيتها، وكيف أن هذا العالم الدنيوي الفاني قاصر عن استيعاب تلك القابليات المودعة في كيانه، مستنتجين من ذلك أن الإنسان سينطلق إلى عالم فسيح تنكشف فيه بذور القابليات التي تنطوي عليها ماهيتة الواسعة الغنية بالملكات

---

[274] النبأ: 1

الثالث: الإنسان ذو جزء اختياري

وسنبين أن هذا الجزء الإختياري هو سبب مسؤولية الإنسان عن أفعاله، ونناقش كذلك كون الإرادة الإلهية هي الأصل وأنها محيطة وشاملة لجميع مناحي حياة الإنسان.

ولا ننسى أن نذكر، أن رسائل النور قد حلت هذه المعميات متوسلة بالبراهين العقلية والمنطقية التي تقنع الإنسان بوجود عالم آخر باق، وهذا بدوره يزيل مخاوف الإنسان من مصيره، حيث يدرك من خلال ذلك أن الحياة الحقيقية هي التي ستتبع هذا العالم وفيها كما ورد في الحديث الشريف ((لاعَينٌ رَأت ولا أُذُنٌ سَمِعَت ولا خَطَر عَلى قَلْبِ بَشَر)).[275]

[275] متفق عليه ، ولفظ البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ». صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة ، 3244 -118/4.

1.3. الإنسان مؤهل للسعادة الأبدية

غاية المرء فيما يأتي ويدع من أمور هو الشعور بالسعادة، والسعادة التي تطمئن وجدان الإنسان هي الدائمة التي لا انقطاع لها، ذلك أن الإنسان يتألم من تصور الزوال، لأن اللذة التي لا دوام لها تذيق الإنسان الأمرين، فما لادوام له لا لذة فيه. وكما عبر عن ذلك الإمام الغزالي فإن "السعادة الأخروية التي نعني بها بقاء بلا فناء، ولذة بلا عناء، وسرور بلا حزن، وغنى بلا فقر، وكمال بلا نقص، وعز بلا ذل، وبالجملة كل ما يتصور أن يكون مطلوب طالب ومرغوب راغب أبد الآباد"[276]

والله سبحانه وتعالى أوجد الإنسان ليكون مخلوقا خالدا ينعم بألطاف الله أبد الآبدين، وأرسله إلى هذه الدنيا ليستعد لنيل تلك السعادة الأبدية التي هي غاية الفطرة الإنسانية، وكما يقول بديع الزمان: "إن رغبة حب البقاء بل عشقه عميقة في الإنسان، هذه الرغبة العريقة لايحققها ولا يسكنها ويطمئنها إلا من هو مالك لمقاليد الكون، الذي يفتح باب البقاء السرمدي أمام الإنسان بالآخرة، بعد أن ينهي هذه الدنيا الفانية ويغلق أبوابها كسهولة غلق غرفة وفتح أخرى."[277]

ذلك أن قدرة الله مطلقة لا يحدها شيء، وهو كما أنه قادر على تدمير هذه العالم الفاني واستبداله بآخر باق، فهو بالقدرة نفسها يبعث الإنسان من مرقده المؤقت في قبره، ويعيد إليه روحه، ذلك أن الإنسان إذا مات فارقت روحه الجسد بأمر الله، ويعقب ذلك الفراق وصال بإذن الله، وليس في ذلك ما يوجب الاستغراب والاستبعاد، حيث يقول الغزالي بهذا الشأن: "عودة النفس إلى البدن بعد مفارقتها عند أمر القيامة أمر ممكن غير مستحيل، ولا ينبغي أن تعجب منه، بل التعجّب من تعلق النفس بالبدن في أول الأمر أظهر من تعجب عودها إليه بعد مفارقته"[278] حيث يقول الله تعالى جوابا

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد، **ميزان العمل** (تحقيق: سليمان دنيا) مصر: دار المعارف، ص108. [276]

[277] **اللمعات**، ص 502.

[278] الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد،**المضنون به على غير أهله**، مصر: مؤسسة العلم ، ص153

لسؤال المستبعدين أمر البعث ﴿أَفَعَيِينا بِالخَلقِ الأَوَّل بَل هُم في لَبسٍ مِن خَلقٍ جَدِيد ﴾[279]

لأن الإنسان في هذه الدنيا الفانية لا يحقق رغباته ولا يتلذذ بمباهج الحياة الدنيا إلا بقدر يسير فهو مخلوق مدرك يمتاز بالعقل، وبه يكون الإنسان على صلة بالأزمان الماضية والمستقبلة، بخلاف البهائم التي لا ينغص تمتعها في اللحظة الراهنة، فكر بالماضي والمآل، وفي هذا المعنى يقول حسين الجسر: "إن الإنسان بسبب ما يحصل له من العقل يتفكر أبدا في الأحوال الماضية، والأحوال المستقبلة، فيحصل له بسبب أكثر الأحوال الآتية أنواع من الخوف، فتثبت أن حصول العقل للإنسان سبب لحصول المضار العظيمة في الدنيا، والآلام النفسانية الشديدة القوية، أما اللذات الجسمانية فهي مشتركة بينه وبين الحيوانات، فلو لم يُختص الإنسان للمعاد، به تكمل حالته، وتظهر سعادته، لوجب أن يكون كمال العقل سببا لمزيد من الهموم والغموم والأحزان"[280]

وإن المتتبع لنظرات رسائل النور حول الآخرة يجد أنها تستدل عليها بأمور كثيرة، ومنها الاستدلال بما أودع الله في الماهية الإنسانية من شوق للبقاء وتوق إليه، حيث أن مشاعر الإنسان المتوجهة إلى البقاء قوية جدا لا يفوقها أي شعور آخر ينطوي عليه كيانه، وإن أكثر ما يؤلم الإنسان هو العدم والزوال، يقول بديع الزمان في تبيين هذه الحقيقة: "إن عشق البقاء والشوق إلى الأبدية وآمال السرمدية المغروزة غرزا لا انفصام لها في فطرة هذا الإنسان، الذي هو أكمل ثمرة لهذا الكون، وأحب مخلوق إلى خالق الكون، وهو أوثق صلة مع موجودات الكون كله، لا شك أنه يشير بالبداهة إلى وجود عالم باق بعد هذا العالم الفاني، وعلى وجود عالم الآخرة ودار السعادة الأبدية."[281]

---

[279] ق:15.

[280] حسين الجسر، **الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية** (تحقيق: خالد زيادة) لبنان: منشورات المكتبة الحديثة، ص 280.

[281] **الكلمات**، ص 126.

ولما كانت فطرة الإنسان تتطلع إلى البقاء، وتستشرف السعادة الأبدية، فإن سبيل الإنسان الوحيد لتطمين هذه الأشواق هو التوجه إلى الله سبحانه، فهو واجب الوجوب والباقي السرمدي، وما في فطرة الإنسان من هذا العشق الشديد نحو البقاء إن هو إلا جلوة من تجليات اسم الله تعالى الباقي، يشير بديع الزمان إلى هذا المعنى بقوله: "إن الإنسان فان، إلا أنه مخلوق للبقاء، خلقه البارئ الكريم بمثابة مرآة عاكسة لتجلياته الباقية، وكلفه بالقيام بمهمات تثمر ثمارا باقية، وصوره على أحسن صورة حتى أصبحت صورته مدار نقوش تجليات أسمائه الحسنى الباقية، لذا فسعادة هذا الإنسان ووظيفته الأساس إنما هي التوجه إلى ذلك الباقي."[282]

وعلى هذا، فإن الله سبحانه وهو أرحم الراحمين، لا شك أنه يقابل أدعية الإنسان المنبثة من أعماق فطرته، وتضرعاته الملحة التي تنشد السعادة الأبدية، بخلق الجنة ويفتح أبوابها لتحتضن الإنسان الذي هو أحب المخلوقات إلى الله، يقرر بديع الزمان هذه الحقيقة بصيغة تستبعد كل شبهة، فيقول مخاطبا الإنسان "هل يمكن لهذا المتصرف القدير أن لايعرفك، ولا يراك، ولا يهيء الأسباب الضرورية لأعظم غاية للإنسان، وهي الحياة الأبدية، ولا يستجيب لأعظم دعاء وأهمه وأعمه، وهو دعاء البقاء والخلود، ولا يقبله بعدم إنشائه الحياة الآخرة، وإيجاد الجنة، ولا يسمع دعاء هذا الإنسان وهو أسمى مخلوق في الكون بل سلطان الأرض ونتيجتها"[283] بلى، فمن مقتضى رحمته سبحانه أن يستجيب ويهيء أسباب السعادة الأبدية، جعلنا الله من أهلها.

والإنسان مهما أعطي من نعم وملذات دنيوية فإنها لا تروي تعطشه للبقاء، إذ هي أرسخ الرغبات في ماهيته، يؤكد هذا المعنى بديع الزمان بقوله في الإنسان: "وهو الذي يتوسل لأجل البقاء والخلود بأدعية غير محدودة فلو أعطي له مافي الدنيا من متع لما شفت غليله للخلود."[284]

---

[282] **اللمعات**، ص 26

[283] **المصدر نفسه** ، ص 513

[284] **الشعاعات**، ص 259.

ليس هذا فحسب، بل إن نعم الجنة أيضا، إن لم تكن مقرونة بالبقاء فإنها لن تشفي غليل الإنسان، ذلك أن توهم زوال تلك النعم ينغص على الإنسان عيشه وإن كان ينعم بأحلى النعم، ويسلط بديع الزمان الضوء على هذه الحقيقة بقوله: "في فطرة الإنسان عشق شديد نحو البقاء حتى إنه يتوهم نوعا من البقاء في كل ما يحبه، بل لا يحب شيئا إلا بعد توهم البقاء فيه."

ويحسن التذكير في هذا المقام بقصة آدم عليه السلام مع الشيطان، فقد وسوس إليه باستغلال تلك الأحاسيس المتجة نحو البقاء، فقال كما ورد ذلك في القرآن الكريم ﴿ هَل أَدُلُّكَ عَلى شَجَرةِ الخُلدِ ومُلكٍ لا يَبْلَى ﴾[285] فإن وعده بالبقاء والخلود أنسى أبينا آدم عليه السلام لذائذ الجنة فأكل من الشجرة التي أُمر أن لا يقربها.

وبناءً على ما تقدم، فإنه جدير بالإنسان أن يسعى إلى نيل البقاء والسعادة الأبدية بالاتصال بالباقي سبحانه، ونيل رضاه، وأن ينظر إلى هذه الحياة الدنيوية القصيرة على أنها معبر إلى عالم باق، وحينها لن يكون هناك مسوغ للخوف من القبر، حيث يقول بديع الزمان: "إن ما يقلق الإنسان دوما وينغص حياته، هو تفكيره الدائم في مصيره، وكيفية دخوله القبر"[286] ذلك أن الموت ليس نهاية المطاف وليس هو فناء للإنسان، بل مقدمة للدخول إلى رحاب الخلود في دار الآخرة إذ هو كما يبين بديع الزمان "الموت ليس إعداما وعبثا ولا سدى ولا انقراضا ولا انطفاء ولا فراقا أبديا، كلا، فالموت ليس عدما ولا مصادفة ولا انعداما ذاتيا بلا فاعل، بل هو تسريح من لدن فعال حكيم رحيم، وتبديل مكان، وتغيير مقام، وسوق نحو السعادة الخالدة."[287]

تنظر رسائل النور إلى مسألة الحياة الآخرة وسعادة الإنسان الأبدية على أنها أحد مقاصد القرآن الأربعة، حيث تناولت آيات القرآن الكريم هذه القضية، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إنَّ الذين آمَنُوا وعَمِلُو الصَّالِحَاتِ لَهُم

---

[285] طه: 120

[286] **الشعاعات،** ص 264.

[287] **المكتوبات،** ص 278.

جَنَّاتٌ تَجرِي مِن تَحْتِها الأَنْهَار ذَلِك الفَوزُ الكَبِير﴾[288] ويقول بديع الزمان في تفسير هذه الآية: "هي بشرى السعادة الخالدة، تزفها هذه الآية الكريمة إلى الإنسان المسكين الذي يلاقي حقيقة الموت كل حين، فتنقذه هذه البشرى من تصور الموت إعداما أبديا وتنجيه وعالمه من قبضة الفناء، بل وتمنحه سلطنة أبدية، وتكسبه سعادة دائمة"[289] فهذه الآية إذاً، بشرى للإنسان بالسعادة الأبدية.

ولمناسبة المقام، فمن الجدير بالذكر أن رسائل النور تبين أن بشرى السعادة الأبدية للإنسان هي من نتائج المعراج النبوي، فقد ذكر بديع الزمان في معرض حديثه عن ثمرات المعراج في الكلمة الحادية والثلاثون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم "شاهد كنوز السعادة الأبدية ودفائن النعيم المقيم، وتسلم مفتاحها، وأتى به هدية للإنس والجن، نعم إنه شاهد ببصره بالمعراج الجنة الخالدة، ورأى التجليات الأبدية لرحمة الرحمن ذي الجلال، وأدرك إدراكا بحق اليقين السعادة الأبدية إلى الجن والإنس، تلك البشرى العظيمة التي يعجز الإنسان عن وصفها."[290]

وفي السياق نفسه يورد بديع الزمان مثالا يصوّر في ضوءه مدى السعادة التي يستشعرها الإنسان عندما يتلقى بشرى السعادة الأبدية، فيقول: "لو قيل لمحكوم عليه بالإعدام، وهو يخطو خطواته نحو المشنقة، إن السلطان قد تكرّم بالعفو عنك فضلا عن أنه منحك بيتا عنده، فلك أن تتصور مدى ما يفتح هذا الكلام من آفاق السرور والفرح لدى ذلك المحكوم عليه بالإعدام، ولكي تستطيع أن تتصور قيمة هذه الثمرة وهذه البشرى العظيمة اجمع جميع ذلك السرور والفرح بعدد الجن والإنس لتقدر مدى تلك البشرى."[291]

وتؤكد رسائل النور في مواضع كثيرة أن الإنسان منطلق إلى الخلود بمقتضى أن الله سبحانه هو الباقي السرمدي، وله أسماء وصفات باقية،

---

[288] البروج: 11
[289] **الكلمات**، ص 527
[290] **المصدر نفسه**، ص 684.
[291] **المصدر نفسه** ، ص 684.

وأن هذه الأسماء ستتجلى إلى الأبد فلا بد أن يكون الإنسان الذي هو أجمع مرآة تعكس الأسماء الإلهية خالدا كذلك فكما يقول بديع الزمان: "إن الخليل الصادق للخالد يكون خالدا، وإن المرآة الشاعرة للباقي يستلزم بقاءها"[292]ويفهم من ذلك أن الله سيبعث الإنسان ويرسله إلى عالم الخلود ليحظى بالمظهرية لجلوات الأسماء الإلهية إلى الأبد، ويفصل بديع الزمان هذا المعنى في موضع آخر من رسائله بقوله: "إن الجمال البديع الخالد الأبدي الذي ليس له مثيل، يطلب خلود مشتاقيه وبقاءهم، وهم كالمرآة العاكسة لذلك الجمال، وأن الصنعة الكاملة الخالدة غير الناقصة تستدعي دوام مناديها المتفكرين"[293] فالإنسان بلا شك سيصحب ذلك الجمال في طريق الأبدية والخلود.

نختم هذا المبحث بذكر بعض الأسماء الإلهية التي أثبتت رسائل النور في ضوئها وقوع الآخرة، وقد تناولها بديع الزمان في الكلمة العاشرة حول الحشر بشكل مفصل، وكذلك في رسالة اللاسيمات الواردة في المثنوي العربي النوري ومن تلك الأسماء الكريم والرحيم والحكيم والعادل والحفيظ، والحقيقة فإن جميع الأسماء الإلهية المتجلية في الكون تستلزم الحياة الآخرة، ومن الجدير بالذكر أن "مسألة علاقة أسماء الله الحسنى بإثبات وجود الحشر لا نجد له مثيلا عند علماء الكلام قديما، ولا حديثا، وبهذا يكون النورسي قد اتّجه اتجاها جديدا في ربطه بين تجليات الأسماء الحسنى وبين إثبات الحشر"[294]

أولا: اسم الله الكريم والرحيم

يذكر أبوحامد الغزالي في معاني هذين الاسمين الجليلين بأن " الكريم هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لايرضى،

---

[292] **الشعاعات**، ص 59.

[293] **الكلمات**، ص 599

[294] **تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي**، ص390.

ولا يضيع من لاذ به وألتجأ"[295] هذا في معنى اسم الله الكريم، ويقول أيضا في شرحه لمعنى اسم الله الرحيم: "الرحمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين، وإرادته لهم عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله عز وجل تامة عامة، أما تمامها فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات، وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستَحِق وغير المستحق، وعم الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما فهو الرحيم المطلق حقا"[296]

ذلك أن الله تعالى يتصف بكرم مطلق ورحمة لا نهاية لها، كما ظهرت آثارها في هذا العالم، يبين ذلك بديع الزمان بقوله: "مادام رب هذا العالم ومدبره له هذا الكرم الواسع، وهذه الرحمة التي لا منتهى لها، وله الجلال والعزة المطلقان، وإن الجلال والعزة المطلقين يقتضيان تأديب المستخفين، والكرم الواسع المطلق يتطلب إكراما غير متناه، والرحمة التي وسعت كل شيء تستدعي إحسانا يليق بها، بينما لا تتحقق من كل ذلك في الدنيا الفانية والعمر القصير إلا جزء ضئيل جدا كقطرة من بحر"[297]فلا بد إذن من دار باقية تحظى بتجليات الكرم والرحمة الإلهية.

ثانيا:اسم الله الحكيم العادل

اسم الله الحكيم يرد كثيرا في رسائل النور حيث يرى بديع الزمان أن رسائل النور مظهر لهذا الاسم واسم الله الرحيم، ويذكر أبو حامد الغزالي في المقصد الأسنى أن "من حكمه (أي الله تعالى) في حق العباد أن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى، وأن الأبرار لفي نعيم وأن الفجار لفي جحيم، ومعنى حكمه للفاجر بالسعادة والشقاوة أنه جعل البر والفجور سببا يسوق صاحبهما إلى السعادة والشقاوة"[298]أما عن معنى اسم الله العادل فيذكر حجة الإسلام من معناه أن "العادل هو الذي يصدر منه

---

295 الغزالي، أبوحامد محمد بن محمد، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى** (تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي) قبرص: دار الجفان والجابي ص 117.

296 **المصدر نفسه**، ص 62

297 **الكلمات**، ص 68.

298 **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، ص92.

فعل العدل المضاد للجور والظلم، ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله، ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله، فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علما بأفعال الله تعالى في ملكوت السماوات إلى منتهى الثرى"[299]

يستدل بديع الزمان بهذين الاسمين الإلهيين على أنهما من مقتضيات الآخرة، ذلك أن ميدان الدنيا ضيق، فلابد من دار أخرى، فيقول: "بينما الإنسان لا يلقى ما يستحقه من الثواب والعقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك الحكمة وتلك العدالة إلا نادرا، بل يؤخر، إذ يرحل أغلب أهل الضلالة دون أن يلقوا عقابهم، ويذهب أكثر أهل الهداية دون أن ينالوا ثوابهم، فلابد أن تناط القضية بمحكمة عادلة، وبلقاء آيل إلى سعادة"[300].

ثالثا: اسم الله الحفيظ

واسم الحفيظ كما يبين الإمام الغزالي معناه "هو الحافظ جدا ولن يفهم ذلك إلا بعد فهم معنى الحفظ وهو على وجهين، أحدهما إدامة وجود الموجودات وإبقاؤها ويضاده الإعدام، والله تعالى الحافظ للسماوات والأرض والملائكة والموجودات التي يطول أمد بقائها والتي لا يطول أمد بقائها مثل الحيوانات والنبات وغيرهما، والوجه الثاني وهو أظهر المعنيين أن الحفظ صيانة المتعاديات والمتضادات بعضها عن بعض"[301] وهذه الحفيظية الإلهية تتجلى في هذا العالم على مخلوقات كثيرة كالنباتات والحيوانات رغم كونها أدنى درجة من الإنسان، يقول بديع الزمان: "نعم، يفهم من تجلي الحفيظية، وعلى هذه الصورة الواضحة، أن لمالك هذه الموجودات عناية بالغة لتسجيل كل شيء وحفظه، وضبط كل ما يجري في ملكه، وله منتهى الرعاية في حاكميته، ومنتهى العناية في سلطنة ربوبيته، بحيث إنه يكتب ويستكتب أدنى حادثة وأهون عمل محتفظا بصور كل ما يجري في ملكه في محافظ كثيرة، فهذه المحافظة الواسعة الدقيقة تدل على أنه سيفتح بلا شك سجل لمحاسبة الأعمال ولا سيما لهذا المخلوق المكرم والمعزز المفطور على مزايا عظيمة، وهو الإنسان.

---

299 **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، ص98

300 **الكلمات**، ص 69.

301 **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، ص 110.

"[302]ذلك أن كل ما يقوم به الإنسان مسجل كما أشارت الآية الكريمة: ﴿فِي كِتَابٍ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إلا أحْصَاهَا﴾. [303]

[302] **الكلمات**، ص 82.
[303] الكهف: 49

2.3 الإنسان صاحب استعداد جامع

نتناول في هذا المبحث قضية تتعلق بماهية الإنسان من حيث دلالتها على أن عاقبة الإنسان هي الحياة الأبدية، فكما يقول بديع الزمان: "إن حسن الصنعة المتقنة في خلق الإنسان في أحسن تقويم، مثلما هو إشارة إلى الصانع سبحانه، فإن ما فيه من قابليات وقوى جامعة، التي تزول في مدة يسيرة تشير إلى الحشر"[304] ذلك أن الإنسان لا يشبه في تركيبه أي كائن آخر، فهو فريد في أجهزته و ما زود به من آلات نفيسة، تشهد أنه لم يخلق لقضاء حياة قصيرة في هذه الدنيا، بل هو مهيء منذ أول خلقته لحياة خالدة تنكشف فيها كل الملكات والاستعدادات التي يمتاز بها.

وقد أولت رسائل النور هذه المسألة عناية بالغة، إذلا يكاد يخلو بحث من مباحث الإنسان عن التطرق لها، ولا سيما في مبحث عاقبة الإنسان ومصيرة، فإنه يستشهد بما في الإنسان من أجهزة وفيرة على أنها دليل لوجود عالم باق سيرسل إليه الإنسان كما بيّنا في سياق بحثنا لأهلية الإنسان للسعادة الأبدية، إذ يقول بديع الزمان: "إن دار الدنيا القصيرة هذه لاتكفي كما أنها ليست ظرفا لإظهار ما لايحد من الاستعدادات المندمجة في روح الإنسان وإثمارها، فلابد أن يرسل هذا الإنسان إلى عالم آخر."[305]

فما ذكر أعلاه دليل على أن الإنسان لم يخلق لهذه الدنيا التي لاتتسع لما أودع في ماهيته من قوى وقابليات، بل سيرسل إلى الآخرة لكي تنكشف انكشافا تاما، كما يبين بديع الزمان "إن هذا الإنسان الذي له هذا الاستعداد الفطري والذي له آمال تمتد إلى الأبد، وأفكار تحيط بالكون، ورغبات تنتشر في ثنايا أنواع السعادة الأبدية، هذا الإنسان إنما خلق للأبد وسيرحل إليه حتما، فليست هذه الدنيا إلا مستضافا مؤقتا وصالة انتظار الآخرة."[306]

ومن الملامح الفريدة لرسائل النور في نظرتها إلى الإنسان هي أنها تنظر إلى فرد الإنسان على أنه نوع بالنسبة لباقي المخلوقات، فالإنسان الفرد يملك من وفرة الأجهزة التي لا يتوفر عليها نوع كامل من باقي

---

[304] **الكلمات**، ص 95

[305] **المصدر نفسه**، ص 611

[306] **المصدر نفسه**، ص 94.

الأحياء والسبب كما يذكر بديع الزمان "في الأنواع الأخرى ماهية الفرد جزئية، وقيمته شخصية، ونظره محدود، وعقله محصور، وألمه آني، ولذته وقتية، بينما البشر ماهيته سامية، وميزاته راقية، وقيمته غالية، ونظره شامل عام، وكماله لا يحده شيء، وقسم من آلامه ولذاته المعنوية دائمة."[307]

ودليل ذلك هو الفروق التي نلاحظها بين فرد الإنسان ونظيره الإنسان، فقد يتفاوتان في الصفات كما بين السماء والأرض والثرى والثريا، بينما لا نجد هذا التفاوت بين فردين من نوع واحد من سائر الحيوانات، فالفرق على سبيل المثال بين أفراد طائفة الأسود ليست بتلك الدرجة مقارنة بالإنسان، بل إن الفرق بين نوعين من الحيوانات كالأسود والغزلان ليس بقدر السعة مقارنة بين فردين من الناس، يقول بديع الزمان في هذا الأمر: "الإنسان الفرد حسب شمول ماهيته، وكلية مشاعره وأحاسيسه، وعموم تصوراته، قد أصبح في حكم النوع وإن كان بعد فردا واحدا، لأن الفاطر الجليل قد خلق الإنسان مرآة جامعة وشاملة مع عبودية تامة، وماهية راقية"[308] فإننا نستيقن من ذلك أن شأن الإنسان عظيم وأنه لن يترك إلى العدم بعد قضائه لحياة قصيرة في هذه الدنيا، فهو مهما نال من اللذائذ والرغبات فإنها لن تسد حاجته للتنعم بنعم خالصة أبدية.

وفي هذا الصدد يعقد بديع الزمان مقارنة بين الإنسان والحيوان فيقول : "إذا قارنا بين الإنسان والحيوان نرى أن الإنسان أغنى بكثير من حيث الأجهزة والآلات، بمائة مرة، ولكنه من حيث لذته وتمتعه بالحياة الدنيا أفقر منه بمائة درجة"[309] وندرك بذلك أن سعة الاستعدادت في الإنسان إنما هي لحياة أبدية خالدة، وهي هبة من لدن الله إليه ليؤدي عبودية كلية، يقابل بها تظاهرات الربوبية الكلية، فكما يقول بديع الزمان: "إن مقام الإنسان الراقي وتفوقه على سائر الأحياء، وامتيازه عليها إنما هو لسجاياه

---

307 **المصدر نفسه**، ص605.
308 **المصدر نفسه**، ص 602
309 **المصدر نفسه**، ص 366

السامية، ولاستعداداته الفطرية الجامعة، ولعبوديته الكلية، ولسعة دوائر وجوده"[310]

ومن الحقائق التي لا تنكر، والتي لا تخطئ آثارها العين، أن الإنسان من جهة استعداده للخير له قوى غير محدودة، وكذلك في الشر فإن له قابلية للقيام بشرور عظيمة، وفي التاريخ البشري شواهد كثيرة على هذه الحقيقة، ففي جانب الأخيار نرى من بلغو أسمى المراتب كالأنبياء والأوليا، وفي الجانب الآخر نشاهد العديد من الأشرار الذين جلبوا الويلات على البشرية، يقول بديع الزمان في بيان هذه الحقيقة: "إن القوى المودعة في الإنسان لم تحدد فطرة خلافا للحيوان، والخير والشر الصادران عنه لا يتناهيان"[311] من أجل ذلك لزم أن يكون هناك عالم آخر ليجد فيه المحسنون ثواب إحسانهم، ويجازى المسيئون على جرائمهم.

ومن جهة أخرى، فإن نظرة إلى جمال الخلقة الربانية في جسم الإنسان، تؤكد لنا أنه إذا كان هذا الجسد قد صنع على هذه الهيئة المتقنة، فإن ما ينطوي عليه عالم الإنسان الداخلي من مشاعر هي على نحو أرقى بدرجات، لذلك فإن رسائل النور تنطلق من هذه النقطة لإثبات أن حياة الإنسان ستدوم وتؤتي ثمارها في عالم آخر ولن تذهب سدى، وفي هذا يقول بديع الزمان: "إن عدم الإسراف الثابت حسب علم وظائف الأعضاء في الفطرة جميعها، ومنها الإنسان، ليبين لنا أنه لا يمكن أن تذهب هباء، فيكون إسرافا جميع الاستعدادات المعنوية، والآمال غير النهائية والأفكار والميول."[312] فمن مقتضى حكمة الله التي لا تقبل الإسراف في شيء أن تكون لاستعدادات الإنسان نتائج أخروية.

وهناك مثال لطيف ورد في رسائل النور لبيان مدى سعة استعدادات الإنسان وغناها مقارنة بالحيوان، وبالتالي فإن الإنسان مطالب بأداء وظائف لبلوغ غايات تفوق نطاق هذه الدنيا الضيقة، وأن الإنسان لم يزود بآلات دقيقة لكسب هذه الدنيا فقط، فيقول بديع الزمان: "أعطى سيد خادمه

---

310 **المصدر نفسه**، ص 264

311 **المصدر نفسه**، ص 835.

312 **المصدر نفسه**، ص 604

عشرين ليرة ليشتري بها بدلة، من قماش معين، فراح الخادم واشتراها من أجود أنواع الأقمشة ولبسها، ثم أعطى السيد نفسه خادما آخر ألف ليرة ولكن وضع في جيبه ورقة تعليمات وأرسله للتجارة، فكل من يملك مسكة عقل يدرك يقينا أن هذا المبلغ ليس لشراء بدلة، إذ قد اشتراها الخادم الأول بعشرين ليرة، فلو لم يقرأ هذا الثاني ما كتب له في الورقة، وأعطى كل ما لديه إلى صاحب حانوت واشترى منه بدلة – تقليدا لصديقه الآخر- ومن أردأ أنواع البدلات، ألا يكون قد ارتكب حماقة متناهية "[313] فالمعنى المقصود من إيراد هذا المثال هو بيان أن الإنسان قد أعطي تجهيزات دقيقة مقارنة بالحيوان، وأنه عليه الاتجار برأس المال والتجهيزات التي أعطيت له من قبل سيده لنيل حياة باقية حتى لا تذهب سدى في هذه الحياة الفانية الزائلة.

وهناك حديث شريف عن النبي صلى الله عليه وسلم يبين سعة ماهية الإنسان وهو قوله: ((ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[314] أي أن قلب الإنسان يستوعب من الأمور المتعلقة بالمعرفة الإلهية ما لا تسعه السماء والأرض، ويقول بديع الزمان في وظيفة هذا القلب بأنه: "مادام قلب الإنسان ودماغه لهما هذه المنزلة والموقع، وقد أدرجت في القلب آلاف ماكنة أخروية ضخمة وأجهزتها الأبدية، كاندراج أجهزة الشجرة الضخمة في بذرتها، فإن فاطر ذلك القلب الذي خلقه على هذه الصورة قد أراد تشغيل هذا القلب وتحريكه."[315]

ومن يجيل النظر في رسائل النور يجد أنها تعد القلب منحة الله للإنسان وعليه توجيهه إلى الحياة الأبدية، ليكون عرشا تستوي عليه المحبة الربانية، وكما أن الحال هذا في القلب فجميع ما أدرجه الله في الماهية الإنسانية إنما أعطي للسعادة الأبدية، يؤكد بديع الزمان هذا المعنى بقوله:

---

313 **المصدر نفسه**، ص 135

314 أخرّجه أحمد في «الزهد»، عن وهب بن منبّه. «الزهد» لأحمد بن حنبل، ص (129)، رقم (421).
ذكره الغزالي في الإحياء بلفظ: قال اللَّه لم يسعني، وذكره بلفظ: ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع، الغزالي: إحياء علوم الدين 16/3.

315 **الكلمات**، ص 564

"إن هدايا الرحمة الجميلة – كالعقل والقلب والعين وما شابهها – ما وهبت لك إلا لتهيئك لفتح أبواب السعادة الأبدية، فما أعظمها من خسارة أن تتحول تلك الهدايا إلى صورة مؤلمة تفتح لك أبواب جهنم."[316]

فلا يليق عقلا أن يهدر الإنسان هذه الأجهزة النفيسة لتلبية رغبات النفس، بل الإنسان أعطي تلك الأجهزة القيمة الراقية ليؤدي وظائف عظيمة تؤهله للسعادة الأبدية.

وجدير ذكره ، أن من مظاهر جامعية استعداد الإنسان هو علاقته بباقي الموجودات، فهو ليس مخلوقاً معزولاً بل له صلات مع كل المخلوقات، ويكن تجاهها مشاعر عميقة، فكما يقول بديع الزمان: "إن الإنسان بما أودع الله فيه من ماهية جامعة، يرتبط مع أغلب الموجودات بأواصر ووشائج شتى، ففي تلك الماهية الجامعة من الاستعداد غير المحدود للمحبة ما يجعله يكن حبا عميقا تجاه الموجودات عامة."[317]

هذه المحبة تتظاهر بشكل أكثر جلاء في علاقة الإنسان ببني جنسه ولاسيما أهله وأقاربه، فإن في ذلك دلالة أن هناك حياة باقية للإنسان بعد هذه الدنيا الفانية، إذ لو كان الإنسان ينتهي إلى عدم، فإن تلك المحبة ستكون سببا لتجرع الإنسان آلاما بالغة، ويبين بديع الزمان هذا المعنى "إذا ما افترضت أن نهاية الحياة الإنسانية تصير إلى الفراق الأبدي، وإلى العدم، ثم دققت النظر في بعض الآثار اللطيفة لتلك الرحمة وأنوارها في نعمة الحب والحنان والعقل، فإنك ترى أن تلك المحبة تصبح مصيبة كبرى، وذلك الحنان اللذيذ يكون داء وبيلا، وذلك العقل النوراني يكون بلاء عظيما"[318]فلابد إذاً من مقتضى رحمة الله بعباده أن يخلق لهم دارا باقية، تكون مجمعا للأحباب ومدارا لسعادة باقية للإنسان مع سائر أحبابه.

ونخلص نتيجة لما سبق إلى القول بأن الاستعداد الجامع للإنسان دليل على وجود حياة سرمدية للإنسان، وأن هذه الملكات والقابليات التي وهبت للإنسان ليس المقصود منها قضاء حياة قصيرة فانية في هذا العالم الضيق،

---

316 **المصدر نفسه** ، ص 25

317 **اللمعات**، ص 21.

318 **الكلمات**، ص 607.

وفي نطاق عالم الشهادة المحدود هذا، حيث عرضت رسائل النور هذه القضية من زوايا متعددة تجتمع كلها في إثبات هذا الأمر، وهي قضية يجمع عليها كل أصحاب العقول السليمة، وذوي الوجدان اليقظ، فكما يذكر بديع الزمان "يرى العلماء المحققون أن أفكار البشر وتصوراته الإنسانية التي لا تتناهى المتولدة من آماله الغير المتناهية الحاصلة من ميوله التي لا تحد، الناشئة من قابلياته غير المحصورة، المندمجة في جوهر روحه، كل منها تمد أصابعها وتحدق ببصرها فتتوجه إلى السعادة الأبدية وراء عالم الشهادة هذا. "[319]

فهذه كلها أدلة صريحة متظافرة لتأييد تلك الحقيقة، وهي أن بذور استعدادات الإنسان ستتسنبل في الحياة الآخرة وتنكشف هناك بصورة جلية، لأن حكمة إعطائه هذه البذور هو تنميتها واستحصال ثمرات أخروية لها، حيث يقول بديع الزمان عن الإنسان: "بسبب فطرته البديعة المهيأة لشتى أنواع العبادة، فقد منح استعدادا جامعا لبذور الكمال، لذا لا يمكن أن تمنح له هذه الأجهزة الوفيرة إلى هذه الدرجة الكثيفة لتحصيل هذه الحياة الدنيوية المؤقتة الفانية فحسب."[320]

---

[319] **المصدر نفسه** ، ص 606

[320] **المصدر نفسه**، ص 367.

3.3 الإنسان ذو جزء اختياري

أفرد بديع الزمان رسالة خاصة تناقش مسألة القدر الإلهي والجزء الاختياري للإنسان، وهي الكلمة السادسة والعشرون ضمن مجموعة الكلمات، وقد أشار إلى قضايا تتعلق بهذا الموضوع في مواطن متفرقة في رسائل النور، وقد ارتأينا أن ندرج هذا المبحث ضمن مباحث عاقبة الإنسان، وسبب ذلك أن الإنسان لما كان ذا جزء اختياري فإنه سيحاسب على أفعاله الاختيارية بالحسنى إذا أحسن وبالعسرى إذا أساء.

ومن المعلوم أن الإنسان مخلوق مكرم، منحه الله تعالى إرادة حرة جعلها ضمن إرادة الله تعالى الكلية، ولمحدودية إرادته يلاحظ أن رسائل النور تسمي إرادته بالجزء الاختياري للإنسان، لكونه تابع لإرادة عليا ومطلقة، وفي ذلك يقول بديع الزمان: "إنه مهما كان الإنسان فاعلا ذا اختيار، إلا أن المشيئة الإلهية هي الأصل، والقدر الإلهي حاكم مهيمن، والمشيئة الإلهية ترد المشيئة الإنسانية، بمضمون قوله تعالى: ﴿ومَا تَشَاؤونَ إلاَّ أنْ يَشَاءَ الله﴾[321]وإذا جاء القدر عمي البصر، فينفذ حكمه، وإذا ما تكلم القدر، تسكت القدرة البشرية، ويصمت الاختيار الجزئي"[322] فالإرادة الإلهية هي المحدد النهائي لكل ما يقوم به الإنسان من أعمال ولا يخرج عن نطاقها شيء مهما كان صغيرا أو كبيرا، وهذا هو مذهب أهل السنة في هذه المسألة كما يقول الإمام الأشعري: "أنه لا يكون في الأرض شيء من خير أو شر إلا ماشاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، ولا يستغني عن الله، ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدرة"[323] ويفهم من ذلك أن للإنسان إرادة حرة لكنها جزئية داخلة ضمن إرادة الله الكلية المطلقة، وفي هذا أيضا رد على الجبرية الذين ينفون إرادة الإنسان ويعتبرونه مسيرا في جميع

---

321 التكوير: 29

322 **المكتوبات**، ص539

323 الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم أبوالحسن، **الإبانة عن أصول الديانة** (تحقيق: فوقية حسين محمود) القاهرة: دار الأنصار ص23

شؤونه، وأبطل علماء أهل السنة هذا المذهب بأدلة دامغة، نذكر على سبيل المثال قول الإمام الباقلاني: "فإن قال قائل فهل تقولون إن الإنسان مستطيع لكسبه قيل له أجل، فإن قال ولم قلتم ذلك؟ قلنا لأن الإنسان يعرف من نفسه فرقا بين قيامه وقعوده وكلامه إذا كان واقعا بحسب اختياره وقصده، وبين ما يضطر إليه مما لايقدر عليه"[324]

والمطلع على رسائل النور، يلاحظ أيضا أنها تسلك في إثبات الجزء الاختياري للإنسان مسلك أهل السنة والجماعة، وهي لا تتطرق إلى تفاصيل نظرية لا ينبني عليها فعل، ولا تخوض في ذكر آراء المتكلمين المختلفة، بل تعرض القضية عرضا اجماليا متسلسلا ينتهي إلى إقناع العقل وطمأنة القلب بأسلوب يدفع الوساوس ويحل كل التساؤلات في ضوء الآيات القرآنية.

وهناك أمر يتكرر كثيرا في سياق مناقشة مسألة الجزء الاختياري في رسائل النور، وهو التأكيد على ضآلة الجزء الاختياري للإنسان واعتباريته، من ذلك ما يقوله بديع الزمان من: " أن إرادة الإنسان الجزئية، وجزأه الاختياري ضعيف وأمر اعتباري إلا أن الله سبحانه –وهو الحكيم المطلق– قد جعل تلك الإرادة الجزئية الضعيفة شرطا عاديا لإرادته الكلية"[325] فإذاً من مقتضى حكمة الله ربط إرادة الله المطلقة بما يكسبه الإنسان من أعمال اختيارية.

ولعل رسائل النور تكثر التأكيد على جزئية الاختيار للإنسان انقاذا له من الوقوع في الفخر والعجب بما يصدر عنه من أعمال طيبة، ينسبها لنفسه، إذ يبين بديع الزمان بأن الإنسان عندما يفعل الحسنات "فليس له الحق في الفخر والمباهاة، لأن حصته فيها ضئيلة جدا، لأن الرحمة الإلهية هي التي أرادت الحسنات واقتضتها، والقدرة الربانية هي التي أوجدتها"[326]

---

[324] الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد القاضي أبو بكر، **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل** (تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر) لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، ص324

[325] **الكلمات**، ص 539

[326] **المصدر نفسه**، ص 534

ومؤدى ذلك أن الثواب الذي يناله الإنسان على حسناته إنما هو محض فضل من الله، وليس للإنسان ادعاء استحقاق له البتة.

ومن ناحية أخرى، فإن ما يرتكبه الإنسان من سيئات فهو مسؤول عنه بخلاف الحسنات، ويبين ذلك بديع الزمان بأن "الإنسان مسؤول عن سيئاته مسؤولية كاملة، لأن الإنسان هو الذي أراد السيئات من قبيل التخريبات، لذا يستطيع الإنسان أن يوقع دمارا هائلا بسيئة واحدة، كإحراق بيت كامل بعود ثقاب، وبذلك يستحق إنزال عقاب عظيم به"[327] ويفهم من ذلك أن الإنسان إذا ارتكب السيئات ثم جوزي عليها فإن ذلك من مقتضى عدل الله سبحانه، وليس للإنسان حق في الاعتراض لأنه هو الذي أراد السيئات، وهي من كسبه، وإذا كان الأمر كذلك فإنه كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّ نَفسٍ بمَا كَسَبَت رَهِينَة﴾[328]لأن الإنسان ليس له قابلية في الإيجاد حيث إن كل ما يقوم به من أعمال هو كسب منه وخلقها يكون من الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿والله خَلَقَكُم ومَاتَعْمَلُون﴾[329]ذلك أن الخلاقية صفة لله تعالى لا يشاركه فيها أحد، كما يقول بديع الزمان: "الجزء الاختياري لا قابلية له في الإيجاد ولا يوجد في يد الإنسان غير الكسب الذي هو في حكم الأمر الاعتباري"[330] ويؤكد المعنى نفسه مبينا صفة الجزء الإختياري للإنسان "إن ذلك الجزء الاختياري، الذي هو سلاح الإنسان، عاجز، قاصر، ناقص، لا يمكنه الخلق، وليس له إلا الكسب"[331] فعلى الإنسان أن لا يعتمد على جزئه الاختياري.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن رسائل النور تلتزم في مناقشة مسألة القدر الحد الوسط، بعيدا عن الإفراط والتفريط، ويقول بديع الزمان في ذلك: "إن المؤمن يعطي لله كل شيء، ويحيل إليه كل أمر، وما يزال هكذا حتى يحيل فعله ونفسه إليه، ولكي لا ينجو في النهاية من التكليف والمسؤولية يبرز

---

327 **المصدر نفسه**، ص 534
328 المدثر: 38
329 الصافات: 96
330 **الكلمات**، ص 535
331 **المصدر نفسه**، ص 230

أمامه الجزء الاختياري قائلا له: اعرف حدك فلست أنت الفاعل"[332] ومعرفة القدر الإلهي ينقذ الإنسان من الغرور وادعاء ماليس له، ومعرفة الجزء الاختياري تصون الإنسان من الشعور بعدم المسؤلية.

ومن الإشكالات التي أجابت عنها رسائل النور بشكل جلي رغم كونها من المعضلات التي أوقعت كثيرا من أهل النظر في حيرة، هي قضية التوفيق بين القدر الإلهي والجزء الاختياري للإنسان، فمع أننا نرى بأعيننا آيات النظام والانتظام في الكون ونؤمن من أعماق قلوبنا بعدالة الله تعالى وحكمته إلا أن هذا التساؤل قد يرد إلى أذهاننا، ويحسن أن نذكر في هذا المقام ما يقوله بديع الزمان إذ يبين: "أن كل إنسان يشعر بالضرورة أن له إرادة واختيارا في نفسه، فيعرف وجود ذلك الاختيار وجدانا، وإن العلم بماهية الموجودات شيء والعلم بوجودها شيء آخر، فكثير من الأشياء وجودها بديهي لدينا إلا أن ماهيتها مجهولة بالنسبة إلينا، فهذا الجزء الاختياري يمكن أن يدخل ضمن تلك السلسلة، فلا ينحصر كل شيء في نطاق معلوماتنا، وإن عدم علمنا لا يدل على عدمه"[333] وهكذا حلت رسائل النور ذلك الاشكال بتقرير هذه القاعدة وهي أن عدم العلم بماهية شيء ما لا يدل على عدم وجوده.

وتورد رسائل النور في هذا السياق مثالا لبيان أن الله تعالى قد جعل إرادة الإنسان الجزئية شرطا عاديا لإرادته سبحانه، يقول بديع الزمان: "إذا أخذت طفلا عاجزا ضعيفا على عاتقك وخيرته قائلا: إلى أين تريد الذهاب فسآخذك إليه، وطلب الطفل الصعود على جبل عال، وأنت أخذته إلى هناك، ولكن الطفل تمرّض أو سقط، فلا شك ستقول له: أنت الذي طلبت، وتعاتبه، وتزيده لطمة تأديب، وهكذا – ولله المثل الأعلى– فهو سبحانه أحكم الحاكمين جعل إرادة عبده الذي هو في منتهى الضعف، شرطا عاديا لإرادته الكلية"[334] إذن فرغم اعتبارية الجزء الاختياري للإنسان، فإنه سيحاسب على أعماله التي ارتكبها بإرادته الجزئية.

---

[332] **المصدر نفسه**، ص 533

[333] **المصدر نفسه**، ص 537

[334] **المصدر نفسه**، ص 540.

ويحسن أن نختم هذا المبحث بذكر القوى التي أودعها في كيان الإنسان لإدامة حياته، فقد بين بديع الزمان في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿اِهْدِنا الصِّراطِ المُستَقِيم﴾[335] فقال: "اعلم أن الصراط المستقيم هو العدل الذي هو ملخص الحكمة والعفة والشجاعة، اللاتي هي أوساط للمراتب الثلاث للقوى الثلاث، توضيحه: أن الله عزّ وجلّ لما أسكن الروح في البدن المتحول، المحتاج المعروض للمهالك، أودع لإدامتها فيه قوى ثلاثا.

إحداها: القوة الشهوية البهيمية الجاذبة للمنافع.

وثانيتها: القوة الغضبية السبعية الدافعة للمضرات والمخربات.

وثالثتها: القوة العقلية الملكية المميزة بين النفع والضر.

لكنه تعالى – بحكمته المقتضية لتكمل البشر بسر المسابقة، لم يحدد بالفطرة تلك القوى كما حدد قوى سائر الحيوانات، وإن حددها بالشريعة، لأنها تنهى عن الافراط والتفريط وتأمر بالوسط"[336] فإن سلك الإنسان سبيل الاستقامة ووجه إرادته الجزئية للعدالة، كان من أهل الهداية والسعادة الأبدية.

---

[335] الفاتحة: 6

[336] **إشارات الإعجاز**، ص30

الخاتمة:

وبعد، فقد توصل الباحث في نهاية هذه الرحلة مع الإنسان في علم الكلام، من خلال معايشتة لكليات رسائل النور، إلى أن بديع الزمان قد حل لغز خلقة الإنسان، وأنه استجلى الحقيقة الإنسانية بكل أبعادها، من حيث ماهيتها ووظيفتها وغايتها، ولا شك أن ذلك هو أجلى ملامح التجديد التي أضفاها بديع الزمان على علم الكلام، حيث يمكننا القول بأن رسائل النور قد ألحقت بعلم الكلام إلى جانب ما يشتمل عليه من مباحث ثلاثة مهمة، وهي: الإلهيات، والنبوات، والغيبيات. مبحثا رابعا يمكن أن يوسم باسم (الإنسانيات).

كما يقترح الباحث على دارسي العلوم الإنسانية، ولا سيما عند التعاطي مع مسألة الإنسان، أن يأخذوا بعين الاعتبار قضايا الإنسان في رسائل النور، مع تكثيف البحوث حولها، علها تسهم في اجتياز الأزمة المعرفية التي يعاني منها هذا الفرع من العلوم، ذلك أن إنسان اليوم بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى إجابات شافية عن أسئلته الوجودية عن ذاته، ولا سبيل له إلى الوصول إلى ما يشفي غليله إلا أن يطلع على دراسات جادة تعتمد في مصادرها على هداية السماء.

وأختم هذا العمل بالصلاة و والسلام على الإنسان الكامل سيدنا وحبيبنا المصطفى محمد.

المصادر والمراجع

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون** (تحقيق: عبدالله محمد الدرويش)، ج2 دمشق: دار يعرب 2004.

ابن عربي، محيي الدين، **الإنسان الكامل**، مصر: وكالة سفنكس للنشر والترجمة (دون تاريخ).

ابن عربي، محيي الدين، **الفتوحات المكية**، ج9 بيروت: دار صادر 2005.

ابن المنظور، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، ج15 بيروت: دار صادر (دون تاريخ).

أبوحيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير** (تحقيق: صدقي محمد جميل) ج 11 بيروت: دار الفكر 1999.

أبوطالب المكي، **علم القلوب** (تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا) مصر: دار الكتب العلمية 2014.

أحمد محمد سالم، **تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي**، القاهرة: دار سوزلر 2014.

الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم أبوالحسن، **الإبانة عن أصول الديانة** (تحقيق: فوقية حسين محمود) القاهرة: دار الأنصار1977.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، بيروت:دار العلم 1983.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، **الذريعة إلى مكارم الشريعة** (تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي)، القاهرة: دار السلام 2007.

الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد ، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، دمشق: دار الفكر (دون تاريخ).

الإيجي، عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد، **المواقف في علم الكلام** (تحقيق: عبدالرحمن عميرة)، ج3 بيروت: دار الجيل 1996.

الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد القاضي أبو بكر، **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل** (تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر) لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية 1987.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **آثار سعيد القديم** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري. ني. كي. 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **أسرار قرآنية** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار سوزلر 2003.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز** (تحقيق: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري. ني. كي. 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **حزب أنوار الحقائق النورية**، إستانبول: دار سوزلر 2011.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **ذو الفقار** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار سوزلر، 2003.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **سراج النور** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار سوزلر، 2003.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **سيرة بديع الزمان** (ترجمة: مجموعة من المترجمين) إستانبول: دار الأنوار 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **الشعاعات** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري. ني. كي. 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **عصا موسى** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار سوزلر، 2003.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **الكلمات** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري. ني. كي. 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **اللمعات** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري. ني. كي. 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **المثنوي العربي النوري** (تحقيق: إحسان قاسم الصالحي)، دار ري. ني. كي. 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **المكتوبات** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري. ني. كي. 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **الملاحق** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار ري. ني. كي. 2014.

بديع الزمان، سعيد النورسي، **الموازنات** (ترجمة: إحسان قاسم الصالحي)، إستانبول: دار سوزلر، 2003.

البوصيري، شرف الدين أبي عبدالله محمد، **بردة المديح**، القاهرة: دار القرآن (دون تاريخ).

بوكاري كندو، **المنهج الواقعي في دراسة قضايا الإيمان رسائل بديع الزمان النورسي أنموذجا**، مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 1 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2010.

البوطي، محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق**، بيروت: دار الفكر 1974.

تسفيتان ثيوفانوف، **مبادئ الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النورسي**، مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 4 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2011.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله، **شرح المقاصد** (تحقيق: عبدالرحمن عميرة وصالح موسى شرف)، ج2 بيروت: عالم الكتب (دون تاريخ).

توشيهيكو إيزويستو، **الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم** (ترجمة: هلال محمد الجهاد) بيروت: المنظمة العربية للترجمة 2007.

الجزولي، أبو عبد الله محمد بن سليمان، **دلائل الخيرات وشوارق الأنوار**، بيروت: المكتبة العصرية 2014

الجيلاني، عبدالقادر، **سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار**، مصر: دار الكتب العلمية 2012.

حسن إزرال، بديع الزمان **سعيد النورسي ومشروعه الإصلاحي في التربية والتعليم**، مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 3 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2011.

حسين الجسر، **الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية** (تحقيق: خالد زيادة) لبنان: منشورات المكتبة الحديثة (دون تاريخ).

الدهلوي، الشاه ولي الله أحمد بن عبدالرحيم، **حجة الله البالغة** (تحقيق: السيد سابق)، ج 2 بيروت: دار الجيل 2005.

الرازي، أبوعبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، **مفاتح الغيب أو التفسير الكبير**، ج 32 بيروت: دار إحياء التراث العربي 1999.

الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن** (تحقيق: صفوان عدنان داوودي)، دمشق: دار القلم 2009.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق، **تاج العروس من جواهر القاموس** (تحقيق: مجموعة من المحققين)، ج40 الكويت: وزارة الإرشاد والإنباء 2001.

زكي مبارك، **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**، بيروت: دار الجيل، 1975

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج 4 بيروت: دار الكتاب العربي 1407

السكندري، ابن عطاء الله، **الحكم العطائية** (شرح: عبدالمجيد الشرنوبي)، دمشق: دار ابن كثير 1989.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، **اللآلئ المصنوعة**، القاهرة: دار المعرفة 1975.

الشفيع الماحي أحمد، **الأمثال في رسائل النور**، إستانبول: دار سوزلر 2006.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر، **الملل والنحل**، ج 3 سوريا: مؤسسة الحلبي (دون تاريخ).

الصالحي، إحسان قاسم، **رحلتي مع رسائل النور**، إستانبول: دار إماك 2016.

الصالحي، إحسان قاسم، **سيرة ذاتية لبديع الزمان**، إستانبول: دار سوزلر 2003.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (تحقيق: بشار معروف وفارس الحرستاني)، ج40 بيروت: دار الرسالة 2000.

طه عبد الرحمن، **سؤال المنهج** (جمع: رضوان محمود)، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، 2015.

طه عبدالرحمن، **فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند الحكيم بديع الزمان**، ع1 مجلة النور للدراسات الحضارية، إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2010.

عبدالحليم عويس، **الرؤية النورسية لبعض القضايا الحضارية الشائكة،** مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 5 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2012.

عبد المجيد النجار، **مقاربات في قراءة التراث،** تونس: دار المالكية، 2015.

عبدالعزيز برغوث، **موقع نظرية العلم في عملية الاستخلاف والتحضر عند النورسي،** مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، ع1 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2010.

العطاس، محمد نقيب، **الإسلام والعلمانية** (ترجمة: محمد الطاهر الميساوي) ماليزيا: المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية 2000.

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبو حامد، **إحياء علوم الدين،** ج 4 بيروت: دار امعرفة (دون تاريخ).

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد، **الاقتصاد في الاعتقاد** (تحقيق: محمد أبوالعلا)، القاهرة: مكتبة الجندي 1972.

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد، **كيمياء السعادة،** مصر: مؤسسة العلم (دون تاريخ).

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد، **المضنون به على غير أهله،** مصر: مؤسسة العلم (دون تاريخ).

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد، **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى** (تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي) قبرص: دار الجفان والجابي 1987.

الغزالي، محمد بن محمد الطوسي أبوحامد، **ميزان العمل** (تحقيق: سليمان دنيا) مصر: دار المعارف 1964.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب **العين مرتبا على حروف المعجم** (تحقيق: عبدالحميد هنداوي)، ج4 بيروت: دار الكتب العلمية 2003.

فريد الأنصاري، **الإنسان ومفهوم الانتساب الإيماني عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي،** مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 19 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2019.

فريد الأنصاري، **نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي،** إستانبول: مركز النور للدراسات (دون تاريخ).

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن** (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش) ج 20 القاهرة: دار الكتب المصرية 1964.

كاريل، ألكسيس، **الإنسان ذلك المجهول** (ترجمة: شفيق أسعد فريد) مصر:مؤسسة العلم (دون تاريخ).

كولن تورنر، **ثورة الإيمان** (ترجمة: أورخان علي) مجلة النور للدراسات الحضارية، ع 1 إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 2010.

الماتريدي، محمد بن محمد أبو منصور، **التوحيد** (تحقيق: فتح الله خليف) الاسكندرية: دار الجامعات المصرية (دون تاريخ)

المحاسبي، الحارث بن أسد أبوعبدالله، **فهم القرآن ومعانيه** (تحقيق: حسين القوتلي)، بيروت: دار الكندي – دار الفكر 1978.

محسن عبدالحميد، **تجديد الفكر الإسلامي،** القاهرة: دار الصحوة 1985.

محسن عبد الحميد، **النورسي متكلم العصر الحديث،** القاهرة: دار سوزلر (دون تاريخ).

الندوي، أبو الحسن، **النورسي ودعوته،** (ورقة مقدمة في مؤتمر تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبديع الزمان سعيد النورسي)، إستانبول: مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم 1995.

النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمد أبي البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (تحقيق: يوسف علي بديوي) ج 3 دمشق: دار الكلم الطيب 1998.

النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج**، ج 16 بيروت: دار إحياء التراث العربي 1972.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب** (تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة)، ج 4، القاهرة: وزارة الأوقاف 1994.

المتنبي، أبي الطيب، **ديوان المتنبي**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر 1983.

المقريء، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** (تحقيق: عبدالعظيم الشناوي) القاهرة: دار المعارف (دون تاريخ).

وحيد الدين خان، **الإسلام يتحدى** (ترجمة: ظفر الإسلام خان) القاهرة: دار المختار الإسلامي 1976.